دور التفسير الموضوعي في معالجة التطرف والغلو وأثره في تعزيز الأمن الفكري
دراسة تأصيلية تحليلية

The Role of Thematic Interpretation in Addressing Extremism and Excessiveness and its Impact on Enhancing Intellectual Security

10.35781/1637-000-192-004

د. العزي محمد فتحي

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان دور التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف وتعزيز الأمن الفكري، من خلال بناء رؤية قرآنية كلية تسهم في تصحيح المفاهيم، وضبط الاستدلال بالنصوص الشرعية، وترسيخ الوسطية والاعتدال. وتتمثل مشكلة البحث في ارتباط بعض صور الغلو والتطرف بالخلل في فهم النصوص الشرعية، ولا سيما القراءة الجزئية للنص وعزله عن سياقه وكلياته ومقاصده؛ مما يثير التساؤل عن مدى إسهام التفسير الموضوعي في معالجة هذا الخلل وبناء فهم قرآني متوازن.

واعتمد البحث المنهج الاستقرائي في جمع الآيات ذات الصلة بموضوع الدراسة، والمنهج التحليلي في دراسة دلالاتها وسياقاتها، والمنهج الموضوعي في جمع النصوص المتعلقة بالقضية وربط جزئياتها بكلياتها؛ وصولًا إلى بناء رؤية قرآنية كلية للموضوع.

وتوصل البحث إلى أن التفسير الموضوعي يسهم في معالجة الغلو والتطرف من خلال جمع النصوص المتعلقة بالقضية في إطار كلي، وتصحيح الاستدلال الجزئي والمنحرف بالنصوص، وضبط المفاهيم الشرعية المرتبطة بالغلو والتطرف، وترسيخ قيم الوسطية والاعتدال والعدل والرحمة، بما يعزز الأمن الفكري ويحد من أسباب الانحراف في الفهم والاستدلال. كما أظهر البحث أن فاعلية التفسير الموضوعي في هذا المجال ترتبط ببناء وعي قرآني متوازن يجمع بين فهم النصوص في سياقاتها ومراعاة الكليات والمقاصد الشرعية.

الكلمات المفتاحية: التفسير الموضوعي، الغلو، التطرف، الوسطية، الأمن الفكري، الفهم القرآني.

ISSN : 2410-1818

The Role of Thematic Interpretation in Addressing Extremism and Excessiveness and its Impact on Enhancing Intellectual Security

Dr. Azzi Mohamed Fathi Eid

Abstract

-This study examines the role of thematic Qur'anic interpretation in addressing extremism and exaggeration and its impact on enhancing intellectual security. It seeks to develop a comprehensive Qur'anic perspective that contributes to correcting misconceptions, regulating the interpretation and application of religious texts, and promoting moderation**.**

The research problem stems from the association of certain forms of exaggeration and extremism with deficiencies in understanding religious texts, particularly fragmented readings that isolate texts from their contexts, overarching principles, and objectives. Accordingly, the study investigates the extent to which thematic interpretation can address these deficiencies and foster a balanced Qur'anic understanding**.**

The study employs an inductive method to collect relevant Qur'anic verses and an analytical method to examine their meanings and contexts and to relate them to issues concerning exaggeration, extremism, and intellectual security**.**

The study concludes that thematic interpretation contributes to addressing exaggeration and extremism by integrating relevant texts within a comprehensive framework, correcting fragmented and deviant interpretations, clarifying religious concepts associated with exaggeration and extremism, and reinforcing the values of moderation, justice, and mercy. These functions strengthen intellectual security and reduce the causes of deviation in understanding and interpretation. The study also demonstrates that the effectiveness of thematic interpretation in this field depends on cultivating a balanced Qur'anic awareness that combines a contextual understanding of texts with consideration of the overarching principles and objectives of Islamic law**.**

Keywords: Thematic Interpretation, Exaggeration, Extremism, Moderation, Intellectual Security, Qur'anic Understanding

ISSN : 2410-1818

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم مصدر الهداية وبناء التصور الإسلامي المتوازن، وقد أسس لمنهج الاعتدال ونهى عن الغلو ومجاوزة الحد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: 171].

ووصف الأمة بالوسطية فقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: 143].

وتعد قضايا الغلو والتطرف من التحديات الفكرية التي تمس الأمن الفكري والاستقرار الاجتماعي، ويرتبط بعض صورها بخلل في فهم النصوص الشرعية، كالقراءة الجزئية، وعزل النص عن سياقه، وفصل الجزئيات عن الكليات والمقاصد.

ومن هنا تبرز أهمية التفسير الموضوعي؛ إذ يقوم على جمع الآيات المتعلقة بالقضية الواحدة، ودراسة دلالاتها وسياقاتها وربطها بكليات القرآن ومقاصده؛ للوصول إلى تصور قرآني متكامل، بما يسهم في الحد من الانتقائية وسوء الاستدلال.

وتتأكد أهمية هذا المنهج في معالجة الغلو والتطرف؛ لأن بناء موقف قرآني متوازن من هذه القضايا يقتضي النظر في مجموع النصوص ذات الصلة، وربط الأحكام بسياقاتها ومقاصدها، بدل الاقتصار على النصوص منفردة.

وقد جاءت فكرة هذا البحث استجابة للحاجة إلى إبراز دور التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف وتعزيز الأمن الفكري، من خلال دراسة تأصيلية تحليلية تربط بين المنهج التفسيري والمعالجة الفكرية، وتكشف أثر الرؤية القرآنية الكلية في تصحيح الفهم والاستدلال ومواجهة الانحرافات الفكرية المعاصرة.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في أن بعض صور الغلو والتطرف ترتبط بقراءة جزئية للنصوص الشرعية، تفصل الآيات عن سياقاتها ومقاصدها وكلياتها؛ مما قد يؤدي إلى اختلال الفهم واضطراب الاستدلال، ومن هنا تتمثل المشكلة في الكشف عن مدى إسهام التفسير الموضوعي في بناء رؤية قرآنية متكاملة تسهم في تصحيح هذا الخلل وتعزيز الأمن الفكري.

سؤال البحث الرئيس

ما دور التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف وتعزيز الأمن الفكري من خلال بناء رؤية قرآنية كلية متكاملة؟

ISSN : 2410-1818

أسئلة البحث الفرعية

1. ما الأسس المنهجية للتفسير الموضوعي في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة؟
2. ما مفهوم الغلو والتطرف في ضوء الاستعمال الشرعي والفكري؟
3. كيف يؤدي الفهم الجزئي للنصوص إلى الانحراف الفكري؟
4. كيف يسهم الجمع الموضوعي للآيات في تصحيح المفاهيم المرتبطة بالغلو والتطرف؟
5. ما أثر التفسير الموضوعي في ترسيخ الوسطية وتعزيز الأمن الفكري؟
6. ما أبرز التطبيقات الدعوية والتربوية المعاصرة لمنهج التفسير الموضوعي في مواجهة الغلو؟

أهمية البحث

تظهر أهمية البحث في:

1- معالجة قضية فكرية معاصرة ذات صلة بأمن المجتمعات واستقرارها.
2- الربط بين علم التفسير والقضايا الفكرية المعاصرة.
3- الإسهام في معالجة الفهم الجزئي للنصوص الشرعية من خلال الرؤية القرآنية الكلية التي يقوم عليها التفسير الموضوعي، بما يعزز الوقاية من الانحراف الفكري.
4- الكشف عن أثر الرؤية القرآنية الكلية في ترسيخ الوسطية والاعتدال وتعزيز الأمن الفكري.
5- إمكان الإفادة من نتائج البحث في المجالات العلمية والدعوية والتربوية.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

1. بيان الأسس المنهجية للتفسير الموضوعي في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة.
2. تحرير مفهومي الغلو والتطرف في ضوء الاستعمال الشرعي والفكري.
3. الكشف عن أثر الفهم الجزئي للنصوص في الانحراف الفكري.
4. بيان دور التفسير الموضوعي في بناء رؤية قرآنية كلية لمعالجة الغلو والتطرف.
5. إبراز أثر التفسير الموضوعي في ترسيخ الوسطية وتعزيز الأمن الفكري.
6. بيان التطبيقات الدعوية والتربوية المعاصرة لهذا المنهج في مواجهة الغلو.

حدود البحث

أولًا: الحدود الموضوعية

يقتصر البحث على دراسة دور التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف وتعزيز الأمن الفكري، من خلال الآيات القرآنية ذات الصلة بالوسطية والنهي عن الغلو وضبط الفهم ومقاصد

ISSN : 2410-1818

الاعتدال، ولا يتوسع في الجوانب السياسية أو الأمنية أو النفسية للتطرف إلا بالقدر الذي يخدم موضوع الدراسة.

ثانيًا: الحدود المنهجية

يعتمد البحث على الدراسة التأصيلية التحليلية، ولا يقوم على دراسة ميدانية أو إحصائية.

ثالثًا: الحدود المصدرية

يقتصر البحث في جانبه التطبيقي على الآيات القرآنية ذات الصلة المباشرة بموضوع الغلو والتطرف والأمن الفكري، مع الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة، وما تدعو إليه الحاجة من المصادر الشرعية والدراسات العلمية المتخصصة في موضوع البحث، بالقدر الذي يخدم التحليل وبناء الرؤية القرآنية الكلية.

منهج البحث

يعتمد البحث على ثلاثة مناهج متكاملة:

1. المنهج الاستقرائي: بتتبع الآيات القرآنية ذات الصلة بالغلو والتطرف والوسطية والأمن الفكري وجمعها في إطار موضوعي.
2. المنهج التحليلي: بدراسة دلالات الآيات وربطها بأقوال المفسرين وتحليل المفاهيم المتعلقة بموضوع البحث.
3. المنهج الموضوعي: وهو المنهج الرئيس في البحث، ويقوم على جمع الآيات المتعلقة بالقضية الواحدة ودراستها في ضوء سياقاتها وربط جزئياتها بكلياتها؛ للوصول إلى تصور قرآني متكامل.

وقد اتبعت الدراسة تحديد المشكلة، وجمع النصوص المتعلقة بها، والرجوع إلى مصادر التفسير والمصادر العلمية ذات الصلة، وتحرير المصطلحات، وتحليل المادة وربط الجزئيات بالكليات، ثم استخلاص النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة

تناول عدد من الدراسات السابقة موضوع الوسطية في القرآن الكريم وصلتها بالأمن الفكري من زوايا متعددة، وفيما يأتي أبرز الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث

1. دراسة خالد فؤاد محمد بليل، بعنوان: «دلالات الوسطية في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية»، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط، مج (25)، ع (83)، يوليو 2022م تناولت الدراسة دلالات الوسطية وأثرها في تحقيق الاعتدال ومواجهة الغلو، وتختلف عن البحث الحالي في تركيزها على

ISSN : 2410-1818

الوسطية، بينما يدرس البحث الحالي دور التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف وتعزيز الأمن الفكري.

2. دراسة العزي محمد فتحي عيد، بعنوان: «الوسطية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية»، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، 1438هـ/2017م، بإشراف الدكتور الأمير الجزولي الأمير الجزولي، تناولت الدراسة مفهوم الوسطية وأهميتها، وما يتصل بسوء فهم الدين ومشكلات الفهم. وتختلف عن البحث الحالي في تركيزها على الوسطية في القرآن الكريم، بينما يركز البحث الحالي على دور التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف وتعزيز الأمن الفكري، وقد أفاد منها في تأصيل الوسطية وبيان صلتها بالاعتدال وتصحيح الفهم.

3. دراسة حنان عوض إبراهيم علي، بعنوان: «الوسطية في الإسلام وعلاقتها بالأمن الفكري: دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم»، مجلة **Jurnal Studi Al-Qur'an**، مج (16)، ع (2)، 2020م. تناولت الدراسة العلاقة بين الوسطية والأمن الفكري في ضوء القرآن الكريم، وأبرزت أثر المنهج الوسطي في تحقيق الأمن الفكري. وقد أفاد البحث الحالي منها في بيان الصلة بين الوسطية والأمن الفكري، ويختلف عنها في تركيزه على توظيف التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف وتعزيز الأمن الفكري.

4. دراسة كوثر عبد الله أحمد علي، بعنوان: «الوسطية في القرآن الكريم»، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر، ع (38)، الإصدار الأول، يونيو 2022م، ص 945-993. تناولت الدراسة مفهوم الوسطية في القرآن الكريم ومجالاتها، وقد أفاد البحث الحالي منها في تأصيل مفهوم الوسطية وبيان موقعه في الخطاب القرآني، ويختلف عنها في تركيزه على توظيف التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف وتعزيز الأمن الفكري.

التعقيب على الدراسات السابقة

يتضح من الدراسات السابقة أنها تناولت جوانب متصلة بموضوع البحث؛ فمنها ما ركز على الوسطية، ومنها ما تناول علاقتها بالأمن الفكري، إلا أن البحث الحالي يسعى إلى الربط المباشر بين ثلاثة عناصر: التفسير الموضوعي بوصفه منهجًا لبناء الرؤية القرآنية الكلية، والغلو والتطرف بوصفهما من القضايا التي قد يرتبط بعض صورها بخلل الفهم والاستدلال، والأمن الفكري بوصفه ثمرة من ثمرات تصحيح الفهم وبناء الوعي المتوازن. ومن ثم تتمثل الإضافة العلمية المتوخاة في تقديم معالجة تأصيلية تحليلية تكشف كيفية توظيف التفسير الموضوعي في تصحيح المفاهيم ومواجهة القراءة الجزئية للنصوص وتعزيز الأمن الفكري.

ISSN : 2410-1818

هيكلة البحث

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشمل موضوع البحث، ومشكلته، وأسئلته، وأهميته، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة، وهيكلته.

التمهيد: الإطار المفاهيمي لمصطلحات البحث، ويشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعي لغةً واصطلاحًا والعلاقة بينهما

المطلب الثاني: مفهوم الغلو والتطرف لغةً واصطلاحًا والعلاقة بينهما

المطلب الثالث: مفهوم الأمن الفكري وعلاقته بالفهم القرآني.

المبحث الأول: الأسس القرآنية في بناء منهج الاعتدال ومواجهة الغلو، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مركزية الوسطية في الخطاب القرآني.

المطلب الثاني: النهي عن الغلو وتجاوز الحد في القرآن والسنة.

المطلب الثالث: المقاصد القرآنية الحاكمة في مواجهة الانحراف الفكري.

المبحث الثاني: أثر التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جمع الآيات وبناء الرؤية القرآنية الكلية.

المطلب الثاني: تصحيح الاستدلال الجزئي والمنحرف بالنصوص.

المطلب الثالث: ضبط المفاهيم الشرعية المرتبطة بالغلو والتطرف.

المبحث الثالث: أثر التفسير الموضوعي في تعزيز الأمن الفكري، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بناء الوعي القرآني المتوازن.

المطلب الثاني: التطبيقات الدعوية والتربوية لمنهج التفسير الموضوعي.

المطلب الثالث: التحديات المعاصرة وآفاق تفعيل التفسير الموضوعي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات والمقترحات البحثية، ثم قائمة المصادر والمراجع.

ISSN : 2410-1818

التمهيد: الإطار المفاهيمي لمصطلحات البحث

يمثل ضبط المفاهيم مدخلًا أساسيًا في الدراسات التي تعالج قضايا فكرية مركبة؛ لأن تحديد المفاهيم يؤثر في بناء المشكلة وتحليلها والوصول إلى نتائج منضبطة. ومن ثم تقتضي دراسة دور التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف وتعزيز الأمن الفكري تحرير المفاهيم الرئيسة التي يقوم عليها البحث، وبيان العلاقات بينها قبل الانتقال إلى التحليل والتطبيق.

المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعي لغةً واصطلاحًا والعلاقة بينهما

أولًا: التفسير الموضوعي لغةً

يتكون مصطلح «التفسير الموضوعي» من لفظين: التفسير، والموضوعي. فالتفسير في اللغة مأخوذ من الفَسْر، وهو البيان والكشف والإيضاح؛ قال ابن منظور: «الفَسْرُ: البيان»، وفسَّر الشيء: أبانه، كما أن الفَسْر يأتي بمعنى كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ([1]).

أما «الموضوعي» فهو نسبة إلى «الموضوع»، وأصله من مادة «وضع»، والوضع في اللغة ضد الرفع، ويقال: وضع الشيء يضعه وضعًا وموضوعًا، والموضع هو المكان الذي يوضع فيه الشيء ([2]).

وبناءً على الدلالة اللغوية للفظين، يفيد تركيب «التفسير الموضوعي» توجيه البيان والكشف إلى موضوع محدد يكون محلًا للدراسة والبحث.

ثانيًا: التفسير الموضوعي اصطلاحًا

عرَّف مصطفى مسلم التفسير الموضوعي بأنه: «علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر» ([3]).

ويبرز هذا التعريف أن التفسير الموضوعي يتجاوز النظر الجزئي إلى الآيات منفردة، إلى دراسة القضية في إطار قرآني جامع، من خلال جمع النصوص المتعلقة بها، والنظر في دلالاتها وروابطها؛ وصولًا إلى تصور قرآني متكامل حول الموضوع. وهذا المعنى هو الذي يقوم عليه البحث الحالي في دراسة الآيات المتعلقة بالغلو والتطرف والأمن الفكري وربط جزئياتها بكلياتها.

ثالثًا: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي

يتضح من المعنيين اللغوي والاصطلاحي وجود صلة ظاهرة بينهما؛ فالتفسير في أصله اللغوي قائم على البيان والكشف، بينما يدل «الموضوع» على الشيء المحدد الذي يقع عليه النظر. وعند اجتماعهما

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة «فسر»، ج5، ص55.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة «وضع»، ج15.

[3] – مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص16.

ISSN : 2410-1818

في المصطلح أصبح «التفسير الموضوعي» دالًا على بيان الهداية القرآنية المتعلقة بقضية محددة من خلال جمع النصوص ذات الصلة بها ودراستها دراسة متكاملة؛ للوصول إلى الرؤية القرآنية الكلية بشأنها.

المطلب الثاني: مفهوم الغلو والتطرف لغةً واصطلاحًا والعلاقة بينهما

أولًا: مفهوم الغلو لغةً واصطلاحًا

الغلو لغةً: يدور معنى الغلو في اللغة حول مجاوزة الحد والزيادة في الشيء عن مقداره؛ فمادة «غلا» تدل على الارتفاع ومجاوزة الحد. قال ابن سيده: «غلا في الأمر غلوًّا: جاوز حده» ([1])، كما يقرر المعجم الوسيط أن الغلو في الأمر هو مجاوزة الحد فيه ([2]).

ثانيًا: مفهوم التطرف لغةً واصطلاحًا

التطرف لغةً: مأخوذ من الطرف، وهو نهاية الشيء وجانبه، ويقال: تطرَّف في كذا إذا جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط؛ ولذلك يحمل التطرف في أصل دلالته معنى البعد عن الوسط والميل إلى أحد الطرفين ([3])، وقد نص المعجم الوسيط في مادة «طرف» على أن «تطرَّف في كذا» بمعنى جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط.

التطرف اصطلاحًا: عرّفه الشاطبي بأنه: المبالغة في الأمر ومجاوزة الحد فيه إلى حيز الإسراف ([4])، ويُفهم من ذلك أن الغلو يتجاوز مجرد الزيادة إلى تعدي الحد المشروع، سواء ظهر ذلك في الاعتقاد أو القول أو العمل.

ثالثًا: العلاقة بين الغلو والتطرف

بين الغلو والتطرف تقارب دلالي واضح؛ فكلاهما يقوم على مجاوزة حد الاعتدال والبعد عن الوسط، غير أن لفظ الغلو أرسخ استعمالًا في النصوص الشرعية، كما في آيتي النساء والمائدة، بينما شاع لفظ التطرف في الاستعمال الفكري المعاصر للدلالة على الانحراف إلى أحد طرفي الإفراط أو التفريط. ولذلك يمكن النظر إلى المصطلحين في هذا البحث بوصفهما متقاربين من حيث الدلالة العامة، مع مراعاة خصوصية السياق الذي يستعمل فيه كل منهما. وقد تناولت دراسات متخصصة تعريف الغلو والتطرف كلًّا على حدة ثم بحثت العلاقة بينهما، وهو ما يؤيد هذا الفصل المنهجي بين المفهومين.

---

[1] – ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج6، ص57.

[2] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ج2، ص660.

[3] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مادة «طرف»، ج2، ص555.

[4] – الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، السعودية: دار ابن عفان، ط1، 1412هـ/1992م، ج1.

ISSN : 2410-1818

أثر ضبط المفهومين في بناء البحث

يسهم ضبط مفهومي الغلو والتطرف في تحديد مجال الدراسة والتمييز بين التدين المشروع والانحراف المذموم. وينطلق البحث من النظر إليهما من زاوية قرآنية منهجية، مركزًا على مواطن الخلل في الفهم والاستدلال، وعلى قدرة التفسير الموضوعي على جمع النصوص وردها إلى سياقاتها وكلياتها ومقاصدها.

خلاصة المطلب الثاني

يتبين أن الغلو هو مجاوزة الحد المشروع في الاعتقاد أو القول أو العمل، وأن التطرف أوسع في الاستعمال المعاصر، ويشير إلى الميل عن الاعتدال في الفكر أو السلوك. وبينهما تداخل، وقد يسهم الغلو في الفهم في نشوء صور من التطرف في الموقف والسلوك. كما تبين أن القراءة الجزئية للنصوص وإهمال السياق والمقاصد والخلط بين مراتب الأدلة من أبرز مواطن الخلل المنهجي التي تتصل بموضوع هذا البحث.

المطلب الثالث: مفهوم الأمن الفكري وعلاقته بالفهم القرآني

يرتبط الأمن الفكري بسلامة التصور والمنهج وحماية الفكر من الانحرافات التي تهدد الفرد والمجتمع. ولا يعني ذلك إغلاق باب التفكير أو الاجتهاد والحوار، وإنما بناء وعي منضبط قادر على التمييز بين الدليل والشبهة، والفهم الصحيح والفهم المنحرف، والتدين المشروع والغلو المذموم. ومن ثم يجمع الأمن الفكري بين جانب وقائي يحمي الفكر من الانحراف، وجانب بنائي يرسخ القدرة على الفهم والنقد والتمييز ([1]).

أولًا: مفهوم الأمن الفكري

الأمن في اللغة يدل على الطمأنينة وزوال الخوف، ([2])، والفكر يدل على إعمال العقل والنظر والتأمل ([3])، ويمكن تحديد الأمن الفكري في هذا البحث بأنه: سلامة فكر الفرد والمجتمع من الانحرافات والمفاهيم المضطربة، من خلال بناء وعي قائم على العلم والفهم المنضبط والاعتدال.

---

[1] – عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1422هـ، ص15.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة «أمن»، ج13، ص21؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة «أمن»، ط8، 1426هـ/2005م، ص1176.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، مادة «فكر»، ج5، ص65؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة «فكر»، ط4، 1425هـ/2004م، ص698.

ISSN : 2410-1818

ثانيًا: الأمن الفكري في ضوء القرآن الكريم

يؤسس القرآن الكريم لمنظومة من القواعد المعرفية والأخلاقية التي تسهم في حماية الفكر من الانحراف، ومن أبرزها العلم والتثبت والعدل والنهي عن اتباع ما لا يقوم عليه دليل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]، وتقرر الآية أصلًا مهمًّا في ضبط المعرفة، يتمثل في النهي عن اتباع ما لا علم للإنسان به، ووجوب التثبت فيما يقوله ويفعله، بما يحول دون بناء الأحكام والمواقف على غير علم ([1]).

كما نهى القرآن عن القول على الله بغير علم، فقال تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33]، ويكشف هذا النهي عن خطورة نسبة الأحكام والمعاني إلى الدين دون علم؛ لأن الانحراف في فهم النصوص قد يبدأ من الجرأة على التفسير والاستدلال بغير أدوات علمية منضبطة ([2]).

ومن الأصول القرآنية كذلك التثبت من الأخبار قبل بناء الأحكام والمواقف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]، وتؤسس الآية لمنهج التثبت ومنع التسرع في قبول الأخبار وترتيب الأحكام عليها، وهو أصل له أثر مباشر في بناء الوعي وحماية الفكر من المواقف القائمة على معلومات غير متحققة ([3]).

ثالثًا: علاقة الأمن الفكري بالفهم الصحيح للنصوص

يرتبط الأمن الفكري بمنهج فهم النصوص؛ فكلما كان الفهم قائمًا على العلم والسياق والجمع بين الأدلة ومراعاة المقاصد والكليات كان أبعد عن الغلو والانحراف، بينما تزيد القراءة الجزئية والانتقائية والمنفصلة عن السياق من احتمالات الخطأ في الفهم والتنزيل، وقد قرر الشاطبي أهمية اعتبار الجزئيات في ضوء الكليات، بما يمنع بناء الفهم على دليل جزئي بمعزل عن الأصول والقواعد الكلية للشريعة ([4]).

---

[1] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج17، ص447.

[2] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص201؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، ج8، ص98.

[3] – الطبري، جامع البيان، ج21، ص349؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص311؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص370.

[4] – الشاطبي، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، الخبر: دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م، ج3، ص85 وما بعدها، وج3، ص174

ISSN : 2410-1818

رابعًا: التفسير الموضوعي وأثره في تعزيز الأمن الفكري

تتضح الصلة بين التفسير الموضوعي والأمن الفكري من طبيعة هذا المنهج القائم على جمع الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد، وتحليلها في ضوء سياقاتها وكلياتها ومقاصدها؛ بما يحد من القراءة الجزئية والانتقائية للنصوص. فالتفسير الموضوعي لا يقتصر على جمع المادة التفسيرية، وإنما يسهم في بناء طريقة منضبطة في التفكير تقوم على استكمال النصوص ذات الصلة قبل تكوين التصور أو إصدار الحكم.

وتبرز أهمية ذلك عند دراسة بعض المفاهيم الشرعية التي قد تتعرض للاجتزاء أو سوء التنزيل، مثل الجهاد، والولاء والبراء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحكم على المخالف؛ إذ إن دراستها من خلال نصوص منفردة قد تفضي إلى تصور ناقص، بينما يساعد جمع النصوص المتعلقة بها وربطها بالسياقات والكليات القرآنية على ضبط مدلولاتها وحدودها الشرعية ([1]).

كما يسهم التفسير الموضوعي في ربط الجزئيات بكليات قرآنية حاكمة، كالعدل والرحمة وحفظ النفس ورفع الحرج والدعوة بالحكمة؛ ومن ثم لا يكون أثره في الأمن الفكري ناتجًا عن مجرد جمع الآيات، وإنما عن بناء شبكة دلالية متكاملة تمنع عزل النص الجزئي عن بقية الهداية القرآنية.

خامسًا: الأمن الفكري بين الوقاية والمعالجة

للأمن الفكري وظيفتان متكاملتان: وظيفة وقائية تسبق وقوع الانحراف، من خلال بناء منهج صحيح في التلقي والفهم، وتعظيم قيمة العلم والتثبت، والرجوع إلى أهل الاختصاص، والجمع بين النصوص، والتمييز بين القطعي والظني والكلي والجزئي؛ ووظيفة علاجية تتجه إلى الانحراف بعد ظهوره من خلال تفكيك الشبهات، وتصحيح المفاهيم، ورد النصوص إلى سياقاتها، والكشف عن مواضع الخلل في الاستدلال.

ويخدم التفسير الموضوعي الوظيفتين معًا؛ فهو وقائي بما يبنيه من رؤية كلية للنصوص، وعلاجي بما يتيحه من إعادة دراسة القضايا التي وقع فيها الانحراف ضمن منظومتها القرآنية المتكاملة. وبهذا يمتد أثره من المجال التفسيري إلى المجالات التربوية والدعوية والفكرية.

سادسًا: علاقة الأمن الفكري بمقاصد الشريعة

يرتبط الأمن الفكري بمقاصد الشريعة من جهة ما يحققه من حماية للدين والعقل والنفس واستقرار المجتمع؛ لأن الانحراف الفكري قد يؤدي إلى تشويه مفهوم التدين، وإفساد التصور، وإضعاف حرمة النفس، وإثارة الانقسام والعدوان، وقد قرر ابن عاشور أن المقصد العام من التشريع يقوم على

[1] – عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، 1411هـ/1991م، ص20 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح الإنسان، بما يكشف عن الصلة الوثيقة بين مقاصد الشريعة وحماية مصالح الإنسان والمجتمع. ([1]).

سابعًا: أثر الأمن الفكري في مواجهة الغلو والتطرف

يمثل الأمن الفكري حصانة معرفية تسهم في الوقاية من الغلو والتطرف؛ لأن بناء الفهم القرآني المتوازن يجعل المتلقي أكثر قدرة على التمييز بين الاستدلال المنضبط والقراءة الانتقائية للنصوص، وعلى رد الجزئيات إلى كلياتها والمتشابه إلى المحكم. كما أن العناية بالأمن الفكري على مستوى المجتمع تنقل المعالجة من مواجهة النتائج السلوكية بعد وقوعها إلى معالجة جذورها في التعليم والتربية والخطاب الديني وبناء الوعي.

خلاصة المطلب الثالث

يتبين أن الأمن الفكري يقوم على سلامة الفكر من الانحراف والمفاهيم المضطربة، وعلى بناء وعي يستند إلى العلم والتثبت والفهم المنضبط للنصوص. كما تظهر صلته المباشرة بالتفسير الموضوعي؛ لأن هذا المنهج يجمع النصوص المتعلقة بالقضية الواحدة، ويربطها بسياقاتها وكلياتها ومقاصدها، بما يسهم في الوقاية من الفهم المنحرف وتصحيح مواطن الخلل فيه.

[1] – محمد الطاهر ابن عاشور مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، عمّان: دار النفائس، ط2، 1421هـ/2001م، ص251 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: الأسس القرآنية في بناء منهج الاعتدال ومواجهة الغلو

مدخل المبحث

يقوم المنهج القرآني في بناء الإنسان على الهداية إلى الصراط المستقيم، بما يجمع بين صحة الاعتقاد واستقامة العمل وعدل السلوك وسلامة الفهم. ومن هذا المنطلق يمثل الاعتدال أصلًا حاكمًا يحفظ التدين من طرفي الانحراف: الغلو الذي يتجاوز حدود الشرع، والتفريط الذي يضيع مقتضياته.

ولا تقتصر المعالجة القرآنية للغلو على النهي عنه، بل تقوم على بناء منظومة متكاملة من القيم والضوابط، من أبرزها الوسطية والعدل والاتباع والرحمة ورفع الحرج ومراعاة المقاصد. وتمثل هذه المنظومة أساسًا مهمًا لفهم أثر التفسير الموضوعي في مواجهة الغلو؛ إذ إن الرؤية الكلية للنصوص تكشف التوازن الذي قد يختفي عند الاقتصار على بعض النصوص دون بعض.

ويتناول هذا المبحث ثلاثة مطالب: مركزية الوسطية في الخطاب القرآني، والنهي عن الغلو وتجاوز الحد في القرآن والسنة، والمقاصد القرآنية الحاكمة في مواجهة الانحراف الفكري.

المطلب الأول: مركزية الوسطية في الخطاب القرآني

جعل القرآن الوسطية وصفًا للأمة المسلمة، فقال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: 143]، وقد فسّر الطبري قوله تعالى: ﴿**أُمَّةً وَسَطًا**﴾ بمعنى العدل والخيار، وربط ذلك بأهلية الأمة للشهادة على الناس. ، وهو ما يربط وسطية الأمة بوظيفتها في الشهادة على الناس ([1]) فالوسطية هنا ليست موقفًا بين الحق والباطل، وإنما استقامة على الحق بعيدًا عن الإفراط والتفريط، وتتجلى الوسطية القرآنية في مجالات متعددة، مما يؤكد أنها منهج شامل في بناء التدين والفكر والسلوك. فمن ذلك الوسطية في الاعتقاد؛ إذ نهى القرآن عن الغلو في الأشخاص ورفعهم فوق منزلتهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**﴾ [النساء: 171]. وقد بين المفسرون أن الآية تنهى عن مجاوزة الحد في الاعتقاد، ومن ذلك الغلو في عيسى عليه السلام ([2]).

وتظهر الوسطية كذلك في العبادة؛ فالمشروع هو اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم دون زيادة تخرج بالعبادة عن سنته. وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من أراد التزام صور من العبادة تخالف هديه، فقال: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد،

---

[1] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، ط1، 1422هـ/2001م، ج2، ص626 إلى 629).

[2] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج7، ص700 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص477؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص21 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» ([1]) ويؤكد الحديث أن كمال التدين يتحقق بالاتباع، لا بمجاوزة الهدي النبوي.

ومن معالم الوسطية في التشريع اليسر ورفع الحرج، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقال سبحانه: و﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، لا تدل هذه النصوص على إسقاط التكليف، وإنما تقرر أن الشريعة لا تقصد المشقة لذاتها، وأن أحكامها منضبطة بمقاصدها وقواعدها ([2]).

كما تظهر الوسطية في العدل مع المخالف، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8]، فالخصومة لا تسقط وجوب العدل، وهو أصل مهم في مواجهة الغلو الذي قد يقود إلى التعميم والظلم في الحكم على المخالف ([3]).

وتظهر كذلك في التثبت في الحكم على الأشخاص، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: 94]. وتدل الآية على خطورة التسرع في الأحكام المتعلقة بالإيمان، وضرورة التثبت قبل إصدار الأحكام على الأشخاص ([4]).

وبذلك يتبين أن الوسطية أصل ممتد في الاعتقاد والعبادة والتشريع والتعامل مع المخالف والحكم على الناس، وأن الكشف عن هذا البناء المتكامل يبرز قيمة التفسير الموضوعي؛ لأن الوسطية لا تستفاد من نص منفرد، وإنما تتضح من جمع النصوص وربط بعضها ببعض في إطار الرؤية القرآنية الكلية.

خلاصة المطلب الأول

يتضح مما سبق أن الوسطية في الخطاب القرآني أصل جامع في بناء منهج الاعتدال، وليست مجرد موقف متوسط بين طرفين؛ فقد ارتبطت بالعدل والاستقامة، وظهرت آثارها في الاعتقاد والعبادة والتشريع والتعامل مع المخالف والحكم على الناس. ومن ثم تمثل الوسطية أساسًا قرآنيًا في مواجهة الغلو؛ لأنها تضبط التدين بالوحي وتمنع مجاوزة الحد، كما يكشف جمع النصوص المتعلقة بها عن أهمية التفسير الموضوعي في بناء هذه الرؤية المتكاملة.

---

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (5063).

[2] – الشاطبي، الموافقات، ج2، ص119 وما بعدها؛ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص258 وما بعدها.

[3] – الطبري، جامع البيان، ج8، ص63؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص110؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص133.

[4] – الطبري، جامع البيان، ج7، ص350؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص386؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص336.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: النهي عن الغلو وتجاوز الحد في القرآن والسنة

جاء النهي عن الغلو في القرآن والسنة بوصفه أصلًا يحفظ التدين من مجاوزة الحدود المشروعة. وقد ورد النهي الصريح عنه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: 171]، وهذه الآية من أصرح النصوص القرآنية في النهي عن الغلو في الدين، وقد بيّن المفسرون أن الغلو فيها هو مجاوزة الحد المشروع، ومن أبرز صوره ما وقع من أهل الكتاب في شأن عيسى عليه السلام. ([1])، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، وتضيف هذه الآية بعدًا مهمًا؛ إذ تربط الغلو باتباع الهوى والضلال عن سواء السبيل، بما يدل على أن الغلو ليس مجرد تشدد في السلوك، بل قد يبدأ بخلل في ميزان الفهم والاستدلال ([2]).

ويكشف الجمع بين الآيتين عن ثلاثة ضوابط في مواجهة الغلو: الالتزام بالحق، والقول بعلم، ولزوم سواء السبيل. وهذا يبرز قيمة التفسير الموضوعي؛ لأن النظر إلى النصوص مجتمعة يكشف أن معالجة الغلو تبدأ بتصحيح المعرفة ومنهج الاستدلال قبل معالجة آثاره السلوكية.

كما جمع القرآن بين الأمر بالاستقامة والنهي عن الطغيان، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112]. فالمطلوب هو الاستقامة وفق أمر الله دون تقصير أو مجاوزة للحد ([3]).

ومن الأصول القرآنية المانعة من الغلو تقرير اليسر ورفع الحرج، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]. ولا يعني اليسر إسقاط التكاليف أو التهاون في الأحكام، وإنما يدل على أن الشريعة لا تقصد المشقة لذاتها، وقد قرر علماء المقاصد أن رفع الحرج من الأصول المعتبرة في التشريع ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]. ويكشف جمع هذه الآيات عن أصل قرآني متكامل يمنع تحويل التدين إلى تكلف وعنت يتجاوز ما شرعه الله.

---

[1] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج7، ص700 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص477؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص21 وما بعدها.

[2] – الطبري، جامع البيان، ج8، ص574 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص158؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص282.

[3] – الطبري، جامع البيان، ج12، ص583؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص107؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص354.

ISSN : 2410-1818

وجاءت السنة النبوية مؤكدة لهذا الأصل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» ([1]) ودلالة الحديث تتجاوز مجرد النهي إلى بيان عاقبة الغلو، كما أن وروده في سياق عبادة الحج يدل على إمكان دخول الغلو في التطبيق العملي للعبادات عند تجاوز هدي السنة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «هلك المتنطعون»، قالها ثلاثًا، والمتنطعون هم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم ([2]).

وفي الحديث تحذير شديد من جعل التكلف والتشدد صورة من صور كمال التدين، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا» ([3]) ويجمع الحديث بين تقرير يسر الدين والدعوة إلى السداد والمقاربة، مما يؤكد أن الاعتدال النبوي ليس تفريطًا في الالتزام، وإنما التزام منضبط يحول دون المشادة والتكلف.

وتكشف هذه النصوص عند جمعها أن السنة لا تعالج الغلو باعتباره سلوكًا منفردًا فحسب، وإنما تضبط المنهج الذي يحكم التدين: اتباع لا ابتداع فيه، واستقامة لا طغيان معها، واجتهاد لا يتحول إلى تنطع أو مشادة. وهذا التكامل يمثل تطبيقًا واضحًا لأهمية الجمع الموضوعي للنصوص في بناء التصور المتوازن.

ويكشف هدي النبي صلى الله عليه وسلم أن معيار صحة التدين ليس كثرة العمل مجردة، وإنما موافقته للوحي والسنة؛ فقد يكون العمل في ظاهره زيادة في العبادة، لكنه إذا خالف الهدي النبوي خرج عن الاعتدال المشروع. ومن هنا يتبين أن الغلو قد يقع في صورة تدين غير منضبط، لا في صورة الإعراض عن الدين فحسب.

ومن التوجيهات النبوية الجامعة في هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» ([4]) ويقرر الحديث منهجًا يقوم على التيسير المشروع دون تفريط، ويمنع التعسير الذي يؤدي إلى التنفير. وبذلك يقوم المنهج النبوي على التوازن بين المحافظة على الأحكام وحسن تنزيلها على الناس.

---

[1] – أخرجه النسائي في السنن، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، رقم (3057)؛ وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، رقم (3029)؛ وأحمد في المسند، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، رقم (1851).

[2] – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (2670)؛ وانظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج16، ص220.

[3] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم (39)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم (69).

ISSN : 2410-1818

ويظهر من مجموع النصوص القرآنية والنبوية أن الغلو خلل قد يمتد إلى الفهم والعبادة والاستدلال والحكم على الآخرين؛ فقد يظهر في الاعتقاد بمجاوزة الحد، وفي العبادة بمخالفة الهدي النبوي، وفي الاستدلال بعزل النصوص عن سياقاتها وكلياتها، وفي الحكم على الناس عند غياب العلم والعدل والتثبت.

ولهذا فإن النهي عن الغلو لا يعني إضعاف التدين، وإنما تصحيحه وردَّه إلى أصل الاتباع؛ فالقرآن يأمر بالاستقامة وينهى عن الطغيان، والسنة تحث على العبادة وتحذر من التنطع والمشادة. ومن ثم تكون المعالجة العلمية للغلو قائمة على العلم والاتباع والجمع بين النصوص ومراعاة مقاصدها.

وتتجلى هنا الصلة بالتفسير الموضوعي؛ إذ لا تقرأ نصوص النهي عن الغلو منفصلة عن نصوص الوسطية واليسر والعدل والرحمة، بل تجمع في إطار موضوعي يكشف عن منهج متكامل يحمي التدين من الانحراف. ومن ثم لا يقتصر التفسير الموضوعي على إثبات ذم الغلو، وإنما يسهم في بيان أسبابه وضوابط منعه والبدائل القرآنية التي تقيم التدين على الاستقامة والاعتدال.

خلاصة المطلب الثاني

يتبين أن القرآن والسنة نهيا عن الغلو وتجاوز الحد، وربطا بعض صوره بالقول على الله بغير علم واتباع الهوى والضلال عن سواء السبيل. كما قررت النصوص أصولًا مانعة منه، من أهمها الاستقامة دون طغيان، واليسر ورفع الحرج، والتكليف في حدود الوسع، والالتزام بهدي النبي صلى الله عليه وسلم. ويؤكد جمع هذه النصوص أن معالجة الغلو لا تكون بالتفريط، وإنما بتصحيح الفهم وضبط الاستدلال وربط النصوص بكلياتها ومقاصدها.

المطلب الثالث: المقاصد القرآنية الحاكمة في مواجهة الانحراف الفكري

لا تكتمل معالجة الانحراف الفكري بمجرد النهي عن الغلو والتطرف، بل تقتضي استحضار المقاصد القرآنية الحاكمة التي تضبط الفهم والاستدلال وتمنع توظيف النصوص في غير مرادها. فالنظر المقاصدي يساعد على فهم الجزئيات في إطار الغايات والكليات التي تنتظمها، وهو ما يمثل بعدًا أساسيًا في بناء الرؤية القرآنية المتوازنة.

أولًا: مقصد التوحيد وضبط مرجعية التلقي

لا يعني النظر إلى المقاصد القرآنية إلغاء دلالات النصوص التفصيلية أو تقديم المصالح المتوهمة عليها، وإنما يعني فهم الجزئيات في ضوء الغايات والكليات التي تنتظمها؛ حتى لا تنفصل الأحكام عن مقاصد الهداية والعدل والرحمة وحفظ الضرورات. وقد قرر علماء المقاصد أن أحكام الشريعة

ISSN : 2410-1818

راجعة إلى تحقيق مصالح العباد وحفظ الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وفي مقدمة الضروريات حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ([1]).

ومن المقاصد الحاكمة في مواجهة الانحراف الفكري مقصد التوحيد؛ إذ يضبط مرجعية المسلم ويمنع أن يتحول اجتهاد بشري أو انتماء لجماعة أو شخص إلى معيار يقدم على الوحي. قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 40]. ومن مقتضيات هذا الأصل أن تكون المرجعية العليا للوحي، وأن تُوزن الأقوال والاجتهادات البشرية بميزانه، بما يحول دون التعصب للأشخاص أو الجماعات وتقديم أقوالهم على مقتضى الدليل.

وتظهر صلة ذلك بالغلو حين تتحول بعض الآراء أو الانتماءات إلى مرجعيات مغلقة يُوالى ويعادى عليها دون وزنها بميزان الشرع؛ فالتوحيد يعيد ترتيب مصادر التلقي، ويجعل المرجعية العليا للوحي، بما يحد من الغلو في الأشخاص والجماعات والمواقف.

ثانيًا: مقصد العدل

يمثل العدل مقصدًا قرآنيًا حاكمًا في مواجهة الانحراف الفكري؛ لأن بعض صور التطرف تقترن بالظلم في الحكم على المخالف أو تعميم الأحكام عليه. وقد أمر القرآن بالعدل حتى مع وجود الخصومة، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8]، وقد بين المفسرون أن العداوة لا تسقط وجوب العدل والإنصاف ([2]).

ومن ثم فإن العدل يضبط الحكم على المخالف، ويمنع الانتقال من نقد القول أو الفعل إلى الظلم والتعميم والإقصاء بغير حق. وهذه قاعدة مهمة في الأمن الفكري؛ لأنها تجعل الأحكام خاضعة للدليل والإنصاف لا للانفعال والخصومة.

ثالثًا: مقصد الرحمة

قال تعالى في بيان الغاية الرحيمة لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وتمثل الرحمة مقصدًا كليًّا ظاهرًا في الشريعة، يتجلى في تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم؛ وقد قرر الشاطبي أن «وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معًا»، واستدل ضمن ما استدل به بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

[1] – الشاطبي، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، الخبر: دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م، ج2، ص8 وما بعدها.

[2] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج8، ص63؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص110؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص133.

ISSN : 2410-1818

[الأنبياء: 107]، ([1])، وعليه، فإن استحضار مقصد الرحمة عند فهم النصوص الشرعية يسهم في ضبط دلالاتها وتنزيلها، ويحول دون توظيفها توظيفاً مجتزأً يفضي إلى القسوة أو الغلو، بما ينسجم مع مقصد الهداية والإصلاح.

رابعًا: مقصد حفظ النفس

يعد حفظ النفس من المقاصد القرآنية شديدة الصلة بمواجهة التطرف، ولا سيما حين ينتقل الانحراف الفكري إلى تبرير العنف أو استباحة الدماء. وقد قرر القرآن حرمة النفس فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ [الإسراء: 33]، وقال سبحانه: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة: 32]. وقد بين المفسرون ما في هذه النصوص من تعظيم حرمة الدماء وشناعة الاعتداء على النفس بغير حق ([2]) ومن ثم يمثل حفظ النفس ضابطًا حاكمًا عند فهم النصوص التي تتصل بالصراع والعقوبة والقتال؛ فلا يصح عزل نص جزئي عن النصوص الكلية المقررة لحرمة النفس وضوابط إزهاقها.

خامسًا: مقصد حفظ العقل

يرتبط حفظ العقل مباشرة بالأمن الفكري؛ لأن سلامة الفكر تقتضي بناء الأحكام على العلم والدليل، لا على الظن والانفعال. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: 36]. وقد بين المفسرون أن الآية تنهى عن القول بغير علم واتباع ما لا تثبت صحته ([3]) ويؤسس هذا الأصل لمنهج معرفي يحد من قبول الشائعات والدعاوى غير المحققة والتأويلات التي لا تستند إلى دليل، وهو ما يعزز التثبت في بناء التصورات والأحكام، ويحد من التأثر بالشائعات والدعاوى غير المحققة والتأويلات التي لا تستند إلى دليل.

سادسًا: مقصد رفع الحرج:

قرر القرآن رفع الحرج والتيسير فقال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: 78]، وقال سبحانه: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: 185]. وقد قرر علماء الأصول والمقاصد اعتبار رفع الحرج في الشريعة، وأن التكليف منضبط بالوسع والطاقة ([4]) وتظهر صلة هذا المقصد

---

[1] – الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، كتاب المقاصد، النوع الأول: قصد الشارع في وضع الشريعة، ج2، ص9–12.

[2] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج8، ص355؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص93؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص146.

[3] – الطبري، جامع البيان، ج14، ص594؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص75؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص257.

[4] – الشاطبي، الموافقات، ج3، ص174–176.

ISSN : 2410-1818

بالغلو عندما يحمل الإنسان نفسه أو غيره ما لم يلزم به الشرع، أو يضيق ما وسعه الله، فيتحول التدين من اتباع منضبط إلى تكلف وتشدد.

سابعًا: مقصد حفظ الجماعة

يؤكد القرآن أهمية الاجتماع ونبذ التفرق، قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: 103]، وقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا**﴾ [الأنفال: 46]، وتدل هذه النصوص على خطورة التنازع الذي يفضي إلى الضعف والتفرق ([1]) ولا يعني حفظ الجماعة إلغاء النصيحة أو الاختلاف المشروع، وإنما يقتضي ممارسة الإصلاح في إطار يحفظ المصالح العامة ويمنع تحول الخلاف إلى فوضى وعدوان.

ثامنًا: المقاصد القرآنية بوصفها ضوابط للفهم والتنزيل

يتضح من المقاصد السابقة أنها لا تمثل معاني نظرية منفصلة عن عملية الفهم، بل تعمل بوصفها ضوابط حاكمة في تفسير النصوص وتنزيلها على الواقع. فإذا أفضى فهم معين إلى نقض العدل، أو إهدار الرحمة، أو استباحة النفس بغير حق، أو تعطيل مقتضيات العلم والعقل، أو تحويل التدين إلى حرج وتنطع، أو إثارة التفرق والعدوان؛ فإن ذلك يستدعي مراجعة منهج الفهم والاستدلال، ولا سيما إذا كان قائمًا على نصوص جزئية عُزلت عن سياقاتها وكلياتها.

وتبرز هنا أهمية التفسير الموضوعي؛ لأنه يجمع الآيات المتعلقة بالقضية الواحدة، ويكشف من خلال مجموعها عن المقاصد والقواعد الحاكمة. فعند دراسة الغلو مثلًا لا يقتصر النظر على النصوص الناهية عنه، بل تربط بنصوص الوسطية والعدل والرحمة وحفظ النفس والعقل ورفع الحرج والاجتماع؛ وبذلك تتكون رؤية قرآنية أكثر شمولًا وانضباطًا.

ولا يعني الاحتكام إلى المقاصد تجاوز دلالات النصوص أو تعطيل الأحكام الجزئية، وإنما يعني وضع الجزئي في إطاره الكلي، وفهم الحكم في ضوء غايته الشرعية، ومراعاة المآلات المعتبرة؛ حتى لا تتحول بعض النصوص عند اجتزائها إلى مستند لفهم يناقض الكليات التي قررها القرآن.

[1] – الطبري، جامع البيان، ج5، ص642 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص89؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص159.

ISSN : 2410-1818

خلاصة المطلب الثالث

يتبين أن المقاصد القرآنية تمثل إطارًا حاكمًا في مواجهة الانحراف الفكري؛ لأنها تضبط الفهم والاستدلال وتحول دون توظيف النصوص خارج سياقاتها وغاياتها. ومن أبرز المقاصد المتصلة بموضوع البحث: التوحيد، والعدل، والرحمة، وحفظ النفس والعقل، ورفع الحرج، وحفظ الجماعة. ولا تلغي هذه المقاصد النصوص التفصيلية، بل تربطها ببنائها الكلي بما يحفظ دلالاتها من الانحراف وسوء التنزيل.

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني: أثر التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف

ينتقل البحث في هذا المبحث من التأصيل القرآني لمنهج الاعتدال إلى بيان الوظيفة التطبيقية للتفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف، من خلال جمع الآيات المتعلقة بالقضية، وتصحيح الاستدلال الجزئي والمنحرف، وضبط المفاهيم الشرعية التي قد يقع الخلل في فهمها أو تنزيلها.

مدخل المبحث

بعد بيان الأسس القرآنية لمنهج الاعتدال، يأتي هذا المبحث لبحث الأثر المنهجي والتطبيقي للتفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف. وتنبع أهمية ذلك من أن بعض صور الانحراف لا تنشأ من رفض النصوص، بل من سوء فهمها أو التعامل الجزئي معها؛ كعزل الآية عن سياقها، أو فصل النص الجزئي عن كليات القرآن، أو تنزيل النص على الواقع دون مراعاة ضوابطه.

ومن ثم فإن المعالجة لا تقتصر على مواجهة السلوك بعد ظهوره، وإنما تبدأ بإصلاح منهج الفهم والاستدلال؛ لأن اضطراب التصور قد يفضي إلى اضطراب الحكم ثم السلوك. ويسهم التفسير الموضوعي في معالجة هذا الخلل من خلال جمع النصوص، وتصحيح الاستدلال، وضبط المفاهيم الشرعية ذات الصلة بالغلو والتطرف.

المطلب الأول: جمع الآيات وبناء الرؤية القرآنية الكلية

يقوم التفسير الموضوعي على جمع الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد، ثم دراستها في ضوء بعضها بعضًا؛ للوصول إلى تصور قرآني متكامل ([1])، ولا يمثل الجمع غاية في ذاته، بل يعقبه تحليل العلاقات بين النصوص وربط دلالاتها بالسياقات والكليات والمقاصد.

وتظهر أهمية هذا المنهج في معالجة الغلو؛ لأن الاستدلال الانتقائي قد يستحضر بعض النصوص ويغفل نصوصًا أخرى تكمل دلالتها أو تضبطها. ومن ثم فإن استقراء الآيات المتعلقة بالقضية يحد من بناء الأحكام على نص منفرد مع وجود نصوص أخرى مؤثرة في فهم الموضوع.

أولًا: نموذج التعامل مع المخالف

عند دراسة التعامل مع المخالف لا يكفي الاقتصار على النصوص المتعلقة بالمفاصلة أو البراءة دون جمع النصوص التي تقرر العدل والبر والقسط والوفاء بالعهد والنهي عن الظلم. قال تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾ [الممتحنة: 8]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا**﴾ [المائدة: 8].

---

[1] – مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق: دار القلم، ط4، 1426هـ/2005م، ص16 وما بعدها؛ عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، 1411هـ/1991م، ص20 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

ويكشف الجمع بين هذه النصوص أن الاختلاف أو المخالفة لا يبرران الظلم، وأن العدل يظل أصلًا حاكمًا في التعامل ([1])، وهذه النتيجة لا تظهر بالوضوح نفسه إذا قُرئ جانب واحد من النصوص بمعزل عن بقية الآيات المتعلقة بالموضوع.

ثانيًا: نموذج مفهوم الجهاد

يظهر أثر الجمع الموضوعي كذلك في دراسة مفهوم الجهاد؛ إذ لا يصح بناء التصور القرآني له على آيات القتال منفردة دون جمع النصوص المتعلقة بضوابط القتال وعدم الاعتداء والعهود والسلم. قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]. وتقرر الآية ضابط عدم الاعتداء، بما يمنع فهم القتال بوصفه أمرًا منفصلًا عن القيود والضوابط التي قررها القرآن.

ويؤكد الجمع الموضوعي في مفهوم الجهاد أن القتال في القرآن ليس فعلًا منفلتًا من الضوابط، بل تحكمه حدود شرعية تمنع الاعتداء. ومن ثم فإن بناء مفهوم الجهاد من خلال نصوص منتقاة مع إغفال النصوص المقيدة والضابطة له يمثل صورة من صور الخلل في الاستدلال ([2]).

ثالثًا: نموذج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يظهر أثر التفسير الموضوعي كذلك عند دراسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ لا يكفي تقرير أصل المشروعية بمعزل عن النصوص والقواعد المتعلقة بالحكمة والرفق ومراعاة المآلات ومنع الفساد. فالمعالجة الشرعية لا تقف عند قصد الإصلاح وحده، بل تنظر كذلك في نتائج الفعل وآثاره، وفيما يتعلق بمراعاة المآلات، قرر الشاطبي اعتبار مآلات الأفعال في الأحكام الشرعية ([3]).

وتظهر أهمية هذا الضابط في مواجهة الغلو عندما يؤدي الحماس للإنكار إلى نتائج أشد فسادًا من المنكر المراد تغييره؛ فالتصور المتكامل يربط أصل الإنكار بضوابطه ومقاصده، ويمنع تحويله إلى ممارسة قائمة على الانفعال دون تقدير للعواقب.

رابعًا: مستويات بناء الرؤية القرآنية الكلية

يؤدي جمع الآيات إلى بناء الرؤية القرآنية في ثلاثة مستويات مترابطة: مستوى المفهوم؛ من خلال تحديد المعنى في ضوء مجموع النصوص، فلا يبقى مفهوم الجهاد أو التعامل مع المخالف أو الإنكار تابعًا

---

[1] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج22، ص565 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص90؛ وينظر في تفسير آية المائدة: الطبري، جامع البيان، ج8، ص63؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص110.

[2] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، ص561 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص523؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص347.

[3] – الشاطبي، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، الخبر: دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م، ج5، ص177 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

لنص منفرد؛ ومستوى الضوابط؛ من خلال الكشف عن الشروط والقيود التي تحكم تطبيق المفهوم؛ ومستوى المقاصد؛ بربط المفهوم بغاياته الكبرى كالعدل وحفظ النفس وإقامة الحق ومنع الفساد.

كما يمنع هذا المنهج التعارض المتوهم بين النصوص؛ فقد تبدو بعض الآيات للقارئ الجزئي دالة على الشدة، وأخرى دالة على الرحمة، بينما يكشف الجمع الموضوعي أن كل دلالة توضع في سياقها ومحلها، وأن الخلل ينشأ من سوء الجمع أو سوء التنزيل، لا من تعارض الهداية القرآنية.

ومن أهم آثار الجمع الموضوعي رد الجزئي إلى الكلي والمتشابه إلى المحكم، وهو ما يتفق مع تقرير الشاطبي أن النظر الراسخ في الأدلة يقوم على مراعاة مجموعها وكلياتها، وأن الاقتصار على بعض الجزئيات قد يفضي إلى اضطراب الفهم والاستدلال ([1]).

وتتضح القيمة التطبيقية لهذا المنهج في أن خطاب الغلو قد يركز على نصوص الوعيد مع إغفال نصوص الرحمة والتوبة، بينما يجمع القرآن بين الجانبين، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49-50]. فالجمع بين الوعد والوعيد يمنع بناء تصور ديني قائم على جانب واحد من الهداية ([2]).

وكذلك لا يصح بناء الأحكام على الأشخاص والمواقف بمعزل عن أصول العلم والتثبت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، وقال سبحانه: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]. ويؤكد الجمع بين هذه النصوص أن الحكم المنضبط يقوم على العلم والتحقق، لا على الظن والانفعال ([3]).

خامساً: أثر الرؤية الكلية في الوقاية من الغلو

يتبين مما سبق أن جمع الآيات ليس إجراءً فنيًا في التفسير فحسب، بل يمثل أصلًا منهجيًا في حماية الفهم من الانحراف؛ فكلما استوعب الباحث النصوص المتعلقة بالقضية، كان أقدر على إدراك التوازن القرآني وأبعد عن الانتقاء الذي قد يؤدي إلى بناء تصور ناقص أو مضطرب.

ويظهر أثر ذلك في تعزيز الأمن الفكري؛ لأن الرؤية الكلية تدرب المتلقي على عدم قبول الاستدلال المجتزأ قبل النظر في بقية النصوص ذات الصلة. فمفاهيم الجهاد والإنكار والحكم على الناس والتعامل مع المخالف لا تُفهم من دليل منفرد، وإنما من مجموع النصوص والضوابط والمقاصد

---

[1] – الشاطبي، الموافقات، ج3، ص174–176.

[2] – الطبري، جامع البيان، ج14، ص50؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص536.

[3] – الطبري، جامع البيان، ج14، ص594 وما بعدها، وج21، ص349 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص75، وج7، ص370.

ISSN : 2410-1818

التي تحكمها. وبهذا يسهم التفسير الموضوعي في بناء مناعة معرفية أمام الخطابات التي تنتقي بعض النصوص وتتجاهل منظومتها الكلية.

خلاصة المطلب الأول

يتضح أن جمع الآيات وبناء الرؤية القرآنية الكلية يمثلان أساسًا في معالجة الغلو والتطرف؛ لأن القراءة الجزئية قد تفصل النص عن سياقه أو قيوده أو مقاصده، بينما يعيد التفسير الموضوعي النص إلى مجموع الآيات المتعلقة بالقضية. ويسهم هذا المنهج في ضبط المفاهيم، وكشف الشروط والقيود، وربط الأحكام بمقاصدها، ورد الجزئيات إلى الكليات؛ وبذلك يؤدي وظيفة وقائية وعلاجية في تصحيح طريقة التعامل مع النصوص وتعزيز الأمن الفكري.

المطلب الثاني: تصحيح الاستدلال الجزئي والمنحرف بالنصوص

لا تتحقق صحة الاستدلال بمجرد الاستشهاد بآية أو حديث، وإنما تقتضي فهم النص في سياقه، وجمع الأدلة المتعلقة بالموضوع، ومراعاة قواعد التفسير والاستنباط. ومن ثم قد يكون الخلل في بعض صور الغلو ناشئًا لا عن رفض النص الشرعي، بل عن طريقة الاستدلال به؛ كأخذ نص منفرد بمعزل عن غيره، أو تحميله ما لا يحتمل، أو تنزيله على غير محله، أو إغفال شروطه وقيوده ومقاصده.

ويبرز أثر التفسير الموضوعي في تصحيح هذا الخلل من خلال جمع النصوص المتعلقة بالقضية، وربط بعضها ببعض، ومراعاة ما بينها من بيان وتقييد وتخصيص، ورد الجزئي إلى الكلي والمحكم. وبذلك ينتقل الاستدلال من مجرد الاستشهاد بالنص إلى بناء الحكم في ضوء مجموع الهداية القرآنية.

أولًا: خطورة الاستدلال الجزئي بالنصوص

يقصد بالاستدلال الجزئي بناء الحكم أو الموقف على نص واحد أو بعض النصوص مع إغفال أدلة أخرى مؤثرة في فهم الموضوع، أو إهمال السياق والضوابط والمقاصد. وتكمن خطورته في أن النصوص المتعلقة بالقضية الواحدة قد يكمل بعضها بعضًا؛ فيبين بعضها مجمل بعض، ويقيد مطلقه، ويخصص عامه، ويكشف مجموعها عن الدلالة التي لا تظهر من النص المنفرد.

وقد أكد الشاطبي أهمية النظر الكلي في الأدلة، وحذر من الاقتصار على الجزئيات مع إغفال الكليات؛ لما يترتب على ذلك من اضطراب في الفهم والاستدلال ([1])، وهذا الأصل يمثل قاعدة مركزية في التفسير الموضوعي، ويكشف عن علاقته المباشرة بتصحيح أنماط الاستدلال التي قد يستند إليها خطاب الغلو.

[1] – الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، الخبر: دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م، ج5، ص228 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

ثانيًا: صور الانحراف في الاستدلال بالنصوص

تتعدد صور الخلل في الاستدلال بالنصوص، ومن أبرزها عزل النص عن سياقه؛ فالآية ترتبط بما قبلها وما بعدها وبموضوعها العام، وقد تتصل بسبب نزول يعين على فهمها. ومن ثم فإن اقتطاعها من سياقها قد يؤدي إلى تحميلها معنى لا يدل عليه موضعها. وقد اعتنى علماء علوم القرآن بالسياق وعدّوه من القرائن المهمة في بيان المراد ([1]).

ومن صور الخلل إهمال أسباب النزول؛ وليس المقصود حصر دلالة الآية في سببها، وإنما الاستفادة من معرفة الواقعة التي نزلت بشأنها في تحديد وجه الخطاب وفهم دلالته. وقد أكد علماء القرآن أهمية أسباب النزول في فهم الآيات، وأن الجهل بها قد يكون سببًا للخطأ في التفسير أو التنزيل ([2]).

ومن صور الانحراف كذلك أخذ العام دون اعتبار ما يخصصه، أو المطلق دون ما يقيده؛ لأن النصوص المتعلقة بالحكم قد يبين بعضها حدود بعض وشروطه. ولهذا فإن جمع النصوص شرط مهم للوصول إلى حكم منضبط، ويؤدي إغفال بعضها إلى نقص في التصور وربما نسبة معنى إلى الشرع لا يدل عليه مجموع أدلته.

ومن أخطر صور الخلل اتباع المتشابه مع إغفال المحكم، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ [آل عمران: 7]. وقد بين المفسرون أن اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة من سمات أهل الزيغ، بينما يقوم منهج الراسخين على فهم النصوص في ضوء المحكمات والأصول الثابتة ([3]).

ومن صور الخلل أيضًا تنزيل النص على غير محله؛ فقد تكون دلالة النص صحيحة في أصلها، لكن الخطأ يقع في تطبيقها على واقعة أو شخص لا تتحقق فيه شروط الحكم. وهنا ينتقل الخلل من تفسير النص إلى تنزيله على الواقع، وهو ما يقتضي التحقق من المناط ومراعاة النتائج والمآلات ([4]).

---

[1] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ/1957م، ج1، ص22 وما بعدها؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974م، ج2، ص181 وما بعدها.

[2] – السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974م، ج1، ص108 وما بعدها.

[3] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص195 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص7.

[4] – ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، الدمام: دار ابن الجوزي، ط1، 1423هـ، ج4، ص337 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

ثالثًا: أثر التفسير الموضوعي في تصحيح الاستدلال

يسهم التفسير الموضوعي في تصحيح هذه الصور من خلال إعادة النص إلى منظومته القرآنية؛ فيجمع الآيات المتعلقة بالقضية، ويراعي سياقاتها، ويوازن بين دلالاتها، ويرد المتشابه إلى المحكم والجزئي إلى الكلي، ويربط الأحكام بمقاصدها وضوابطها. وبهذا يتحول الاستدلال من الانتقاء إلى الاستقراء، ومن التعامل المنفرد مع النص إلى بناء الحكم على مجموع الأدلة ذات الصلة.

ولا تكمن قيمة هذا المنهج في زيادة عدد النصوص المستدل بها فحسب، بل في تغيير طريقة بناء الدلالة؛ إذ يصبح السؤال العلمي: ما الرؤية التي يقدمها مجموع القرآن في هذه القضية؟ بدلًا من البحث عن نص منفرد يؤيد موقفًا سابقًا. وهذا التحول المنهجي من أهم ما يمكن أن يقدمه التفسير الموضوعي في مواجهة الاستدلال الذي يغذي الغلو والتطرف.

رابعًا: تطبيقات في تصحيح الاستدلال الجزئي

تظهر وظيفة التفسير الموضوعي في تصحيح الاستدلال من خلال تطبيقه على المفاهيم التي قد يقع فيها الاجتزاء. ففي التعامل مع المخالف، لا يصح أن تؤدي نصوص المفاصلة والبراءة إلى إلغاء العدل والبر المشروع؛ فقد قال تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾ [الممتحنة: 8]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا**﴾ [المائدة: 8]. فالجمع بين النصوص يحفظ دلالة البراءة الشرعية دون تحويلها إلى مسوغ للظلم والعدوان ([1]).

وفي مفهوم الجهاد لا يصح عزل آيات القتال عن ضوابطها، قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: 190]. وقد بين المفسرون أن النهي عن الاعتداء يتضمن منع تجاوز ما أذن الله به، وبذلك يكون فهم القتال محكومًا بمجموع النصوص لا بآية مجتزأة ([2]).

وفي الحكم على الأشخاص قرر القرآن أصل العلم والتثبت، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء: 36]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا**﴾ [النساء: 94]. ويمنع هذا الأصل التوسع في إطلاق الأحكام المتعلقة بالإيمان أو الفسق أو البدعة دون بينة معتبرة ([3]).

---

[1] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج22، ص565 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص90؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص59؛ وينظر في تفسير آية المائدة: الطبري، جامع البيان، ج8، ص63؛ القرطبي، الجامع، ج6، ص110.

[2] – الطبري، جامع البيان، ج3، ص561 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص523؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص347.

[3] – الطبري، جامع البيان، ج14، ص594 وما بعدها، وج7، ص350؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص75، وج2، ص386.

ISSN : 2410-1818

كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينفصل عن مراعاة المصلحة والمفسدة والمآل؛ إذ لا يكون الإنكار مشروعًا بالصورة التي تفضي إلى منكر أشد، وقد قرر العلماء اعتبار مآلات الأفعال في هذا الباب ([1]).

خامسًا: تصحيح الاستدلال بربط النص بالمقصد

من أهم وظائف التفسير الموضوعي ربط النصوص بمقاصدها، حتى لا يستخدم الدليل في تحقيق نتيجة تناقض الغاية الشرعية التي ينتظم في إطارها. فالنصوص المتعلقة بالقتال لا تنفصل عن ضوابط العدل ومنع الاعتداء وحفظ النفس، ونصوص الإنكار لا تنفصل عن مقصد الإصلاح، والحكم على الأشخاص لا ينفصل عن العلم والعدل والتثبت.

سادسًا: بناء المنهج الوقائي في الاستدلال

لا يقتصر التفسير الموضوعي على تصحيح الخطأ بعد وقوعه، بل يبني منهجًا وقائيًا؛ إذ يدرب الباحث والمتلقي على جمع النصوص قبل إصدار الحكم، ومراعاة السياق، وربط الدلالة بالمقصد، والتحقق من شروط التنزيل. وبهذا ينتقل المتلقي من سؤال: ما النص المستدل به؟ إلى أسئلة أكثر ضبطًا: ما سياقه؟ وما النصوص الأخرى المتعلقة بالموضوع؟ وما قيوده ومقاصده؟ وهل تحققت شروط تنزيله على الواقعة؟ وهذا البناء المنهجي يمثل أحد أهم إسهامات التفسير الموضوعي في تعزيز الأمن الفكري.

سابعًا: أثر تصحيح الاستدلال في معالجة الغلو والتطرف

يؤدي تصحيح الاستدلال إلى معالجة الغلو من جذوره المعرفية؛ إذ يكشف أن بعض النصوص التي يستند إليها الخطاب الغالي لا تدل على المعنى الذي يريده إذا قُرئت في ضوء مجموع النصوص، كما يمنع توظيف الأدلة في غير مقاصدها، ويرد القضايا الكبرى إلى ضوابطها العلمية بدل تركها للانفعال أو الانتقاء. ولا تعني هذه المعالجة إضعاف سلطان النص، بل على العكس؛ فهي تحفظ للنصوص مكانتها وتمنع إساءة استخدامها.

خلاصة المطلب الثاني

يتبين أن من أهم مواطن الخلل المؤدية إلى الغلو: عزل النص عن سياقه، وإغفال النصوص الأخرى المتعلقة بالموضوع، واتباع المتشابه دون رده إلى المحكم، وسوء تنزيل النص على الواقع. ويعالج التفسير الموضوعي ذلك بجمع النصوص وربطها بسياقاتها وكلياتها ومقاصدها، فيمثل منهجًا وقائيًا وعلاجيًا في الوقت نفسه.

---

[1] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ/2004م، ج28، ص129 وما بعدها؛ ابن القيم، إعلام الموقعين، ج4، ص337 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثالث: ضبط المفاهيم الشرعية المرتبطة بالغلو والتطرف

يمثل ضبط المفاهيم مدخلًا أساسيًا في معالجة الغلو؛ لأن بعض الانحرافات لا تنشأ من إنكار النص الشرعي، بل من سوء فهم مفاهيمه أو عزلها عن سياقاتها وضوابطها. ومن المفاهيم التي قد تتعرض لذلك: الجهاد، والولاء والبراء، والحكم على الأشخاص، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويقوم دور التفسير الموضوعي على إعادة هذه المفاهيم إلى بنيتها القرآنية الكلية، دون إلغائها أو تحميلها استعمالات منحرفة.

أولًا: أهمية ضبط المفاهيم

لا تمثل المفاهيم الشرعية ألفاظًا مجردة، بل تؤثر في تكوين التصورات والمواقف؛ ولذلك فإن الخلل في فهمها قد ينتقل إلى السلوك. فإذا عُزل مفهوم الجهاد عن ضوابط العدل وعدم الاعتداء، أو عُزل الإنكار عن العلم والحكمة والمآلات، أو عُزل الولاء والبراء عن العدل والبر والوفاء بالعهد، نشأت تصورات غير متوازنة قد تستعمل في تبرير الغلو.

ومن ثم يقوم الضبط العلمي على فهم المصطلح وفق دلالته الشرعية ومجموع النصوص المتعلقة به، لا وفق استعمالات طارئة أو مواقف سابقة يراد البحث عن دليل لها، وقد نبّه ابن تيمية إلى أهمية ضبط الألفاظ والمعاني وعدم بناء الأحكام على الألفاظ المجملة والمحتملة. ([1]).

ثانيًا: ضبط مفهوم الجهاد

يعد الجهاد من المفاهيم التي يظهر فيها أثر الجمع الموضوعي بوضوح؛ إذ يؤدي اختزاله في القتال، ثم فصل القتال عن شروطه وضوابطه، إلى تشويه المفهوم. والقرآن حين يتناول القتال يقرنه بضوابط مانعة من الاعتداء، قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: 190]. وقد بين المفسرون أن النهي يشمل تجاوز ما أذن الله به في القتال ([2]).

كما قرر القرآن الوفاء بالعهد فقال تعالى: ﴿**فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ**﴾ [التوبة: 7]. ويكشف جمع هذه النصوص أن القتال المشروع ليس منفصلًا عن العدل والوفاء بالعهود ومنع الاعتداء؛ وبذلك يصحح التفسير الموضوعي الاختزال الذي يحول مفهوم الجهاد إلى صورة واحدة مجردة من ضوابطها.

ثالثًا: ضبط مفهوم الولاء والبراء

يقوم الولاء والبراء في أصله على الانتماء الإيماني والبراءة من الكفر والباطل، غير أن الخلل يقع حين يُحوَّل هذا المفهوم إلى مسوغ لإلغاء العدل والبر المشروع أو التوسع في العداوة مع المخالف. وقد جمع

---

[1] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ/2004م، ج7، ص286 وما بعدها.

[2] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، ص561 وما بعدها؛

ISSN : 2410-1818

القرآن بين التميز الإيماني والعدل في التعامل، فقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]. ويكشف الجمع الموضوعي أن الولاء والبراء لا يلغي نصوص العدل والبر والقسط والوفاء بالعهد، ولا يجوز أن يتحول إلى ذريعة للظلم أو العدوان ([1]).

رابعًا: ضبط مفهوم التكفير والحكم على الناس

يعد التكفير من أخطر الأبواب المتصلة بالغلو؛ لما يترتب عليه من آثار في الدماء والأعراض والعلاقات الاجتماعية والدينية. وقد أكد القرآن التثبت في الحكم على إيمان الأشخاص، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: 94]. وقد بين المفسرون أن الآية تنهى عن التعجل في الحكم على من أظهر ما يدل على الإسلام ([2]).

وجاء في السنة التحذير من التسرع في التكفير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما» ([3])، ومن ثم فإن التفسير الموضوعي يضبط هذا الباب بجمع نصوص الإيمان والكفر والتثبت والعدل والنهي عن القول بغير علم، بما يمنع تحويل أحكام التكفير إلى أداة للصراع والغلو.

خامسًا: ضبط مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل شرعي، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 104]. إلا أن ممارسته لا تنفصل عن العلم والاستطاعة والحكمة ومراعاة النتائج. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» ([4])، وقد قرر العلماء أن صورة الإنكار التي تؤدي إلى منكر أعظم لا تحقق مقصود الشرع في الإصلاح وتقليل الفساد، وهو ما يدخل

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص90؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص59.

[2] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص336.

[3] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كفّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم (6104)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، رقم (60)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[4] – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (49)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ISSN : 2410-1818

في اعتبار المآلات ([1])، ومن هنا يجمع التفسير الموضوعي بين نصوص الإنكار ونصوص الحكمة والرفق والمصلحة؛ فيضبط الانتقال من مجرد الحماس للإنكار إلى الإصلاح الشرعي المنضبط.

سادساً: ضبط مفهومي الحاكمية والطاعة

يقرر القرآن أن الحكم لله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 40]، إلا أن الخلل قد يقع في تنزيل هذا الأصل حين يستخدم بصورة مجتزأة للتوسع في التكفير أو إلغاء الضوابط الشرعية المتعلقة بالحكم على الأشخاص والواقع.

وفي المقابل أمر القرآن بالطاعة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، وبينت السنة أن الطاعة مقيدة بالمعروف، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف» ([2])، ويكشف الجمع بين النصوص أن الحاكمية لا تُفهم بما يؤدي إلى الفوضى والغلو، كما أن الطاعة لا تُفهم بما يبرر المعصية؛ وإنما يضبط كل مفهوم بمجموع الأدلة ذات الصلة.

سابعاً: ضبط مفهوم الهجرة والمفاصلة

قد يقع الخلل في مفهوم الهجرة والمفاصلة حين يتوسع فيهما بما يؤدي إلى عزل المسلم عن مجتمعه أو بناء قطيعة شاملة غير منضبطة. ولذلك ينبغي فهمهما في ضوء مجموع النصوص المتعلقة بحفظ الدين والدعوة والإصلاح والصبر والعدل والبر والقسط، لا بوصفهما أصلًا منفردًا يهدم بقية الأصول. ويكشف التفسير الموضوعي هنا حدود المفهوم ومقصده وصلته ببقية القيم القرآنية، بما يمنع توظيفه في التكفير أو العزلة الفكرية غير المنضبطة.

ثامناً: أثر التفسير الموضوعي في إعادة المفاهيم إلى توازنها

تكشف التطبيقات السابقة أن وظيفة التفسير الموضوعي ليست إلغاء المفاهيم الشرعية، وإنما إعادة كل مفهوم إلى موضعه داخل المنظومة القرآنية؛ فيثبت الجهاد مع ضوابط العدل وعدم الاعتداء، والولاء والبراء مع العدل والبر المشروع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع العلم والحكمة ومراعاة المآلات، والحاكمية مع الضوابط الشرعية في الفهم والتنزيل.

وتتأكد أهمية ذلك لأن بعض صور الغلو تبدأ بمفهوم صحيح في أصله، ثم يُفصل عن سياقه وضوابطه ومقاصده فيتحول إلى تصور ناقص. أما التفسير الموضوعي فيعيد بناء المفهوم داخل شبكة

---

[1] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج28، ص129 وما بعدها؛ ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4، ص337 وما بعدها؛ الشاطبي، الموافقات، ج5، ص177 وما بعدها.

[2] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم (7145).

ISSN : 2410-1818

الدلالات القرآنية، فيكشف معناه وحدوده ومقصده ومجال تطبيقه، وبذلك يسهم في حماية المفاهيم الشرعية من التحول إلى شعارات منفصلة عن العلم والاستدلال المنضبط.

خلاصة المطلب الثالث

يتبين أن ضبط المفاهيم الشرعية من أبرز آثار التفسير الموضوعي في مواجهة الغلو والتطرف؛ لأن الخلل قد ينشأ من سوء فهم المفهوم الصحيح أو عزله عن النصوص الأخرى المتعلقة به. ويعالج التفسير الموضوعي ذلك بإثبات أصل المفهوم، وتحديد ضوابطه، وربطه بكليات القرآن ومقاصده، بما يسهم في تصحيح الفهم وبناء وعي شرعي متوازن.

خلاصة المبحث الثاني

كشف المبحث أن أثر التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف يتحقق من خلال ثلاثة مسارات مترابطة: جمع الآيات وبناء الرؤية القرآنية الكلية، وتصحيح الاستدلال الجزئي والمنحرف، وضبط المفاهيم الشرعية التي قد تتعرض لسوء الفهم والتوظيف. وهذه المسارات تنقل المعالجة من مجرد الرد على صور الغلو بعد ظهورها إلى بناء منهج وقائي يضبط طريقة التعامل مع النصوص قبل تكوين المواقف والأحكام.

ISSN : 2410-1818

المبحث الثالث: أثر التفسير الموضوعي في تعزيز الأمن الفكري

مدخل المبحث

بعد بيان أثر التفسير الموضوعي في معالجة الخلل في الفهم والاستدلال، يأتي هذا المبحث لبحث أثره في تعزيز الأمن الفكري. فالأمن الفكري لا يتحقق بالرد على الأفكار المنحرفة بعد ظهورها فحسب، وإنما يتطلب بناء وعي يمتلك أدوات الفهم الصحيح، ويميز بين النص الشرعي واستعماله الخاطئ، وبين التدين المشروع والغلو المذموم.

وتبرز قيمة التفسير الموضوعي في هذا المجال؛ لأنه يبني طريقة في التفكير تقوم على الاستقراء والجمع بين الأدلة ورد الجزئيات إلى الكليات وفهم المفاهيم في سياقاتها ومراعاة المقاصد والمآلات. ومن ثم يتناول هذا المبحث بناء الوعي القرآني المتوازن، والتطبيقات الدعوية والتربوية للمنهج، والتحديات المعاصرة وآفاق تفعيله.

المطلب الأول: بناء الوعي القرآني المتوازن

يعد بناء الوعي القرآني المتوازن من أهم آثار التفسير الموضوعي في تعزيز الأمن الفكري؛ لأن الانحراف قد ينشأ من رؤية جزئية للنصوص أو فصل الأحكام عن مقاصدها. والوعي المتوازن ينظر إلى القرآن بوصفه منظومة هداية متكاملة، فلا يستدعي النص لتأييد موقف سابق، بل يجمع الأدلة ويربط الجزئيات بالكليات، ويوازن بين الثبات على الحق والعدل والرحمة في التعامل.

أولًا: بناء الرؤية الكلية

ينقل التفسير الموضوعي المتلقي من النظر إلى النص المنفرد إلى استقراء مجموع الآيات المتعلقة بالقضية؛ للوصول إلى تصور قرآني متكامل ([1])، ومن ثم يدرك أن القرآن يجمع بين العدل والرحمة، والوعد والوعيد، والثبات والنهي عن الطغيان، والإنكار والدعوة بالحكمة. وهذه الرؤية تحد من الخطابات التي تضخم دلالة واحدة وتغفل بقية النصوص.

ثانيًا: رد المتشابه إلى المحكم

يقوم الوعي القرآني المنضبط على رد النصوص المحتملة إلى الأصول المحكمة، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ [آل عمران: 7]. وقد بين المفسرون أن المحكمات أصول يرجع إليها عند الاشتباه، وأن اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة من مسالك أهل الزيغ

[1] – عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، 1411هـ/1991م، ص20 وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

([1])، ويعالج التفسير الموضوعي هذا الخلل بجمع النصوص ورد المحتمل إلى المحكم والكلي، فلا يبنى موقف فكري عام على دلالة جزئية محتملة.

ثالثًا: العلم والتثبت في بناء المواقف والأحكام

يبني القرآن الوعي على العلم والتثبت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، وقال سبحانه: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]. وتقرر الآيتان أصلين متكاملين: عدم بناء المواقف على ما لا يقوم عليه علم، والتحقق من الأخبار قبل ترتيب الأحكام عليها ([2])، وهذا مهم للأمن الفكري؛ لأن بعض الخطابات المنحرفة تعتمد على أخبار غير متحققة وأحكام متسرعة أو عبارات مجتزأة.

رابعًا: مراعاة المقاصد

لا يكتمل الوعي القرآني بالنظر إلى الدلالة الجزئية دون المقاصد الحاكمة؛ فالعدل والرحمة وحفظ النفس والعقل ورفع الحرج تمثل أصولًا كبرى تضبط الفهم والتنزيل. ويظهر الخلل حين يستعمل نص جزئي بطريقة تفضي إلى مفسدة تناقض مقصدًا شرعيًا كليًا. ومن هنا يسهم التفسير الموضوعي في وصل النص بمقصده، بما يمنع الفصل بين الحكم وغاياته الشرعية.

خامسًا: التمييز بين التدين المشروع والغلو المذموم

يسهم التفسير الموضوعي في التمييز بين قوة التدين والغلو؛ فليس التمسك بالدين تطرفًا، كما أن مواجهة الغلو لا تعني التفريط في الأحكام. وقد جمع القرآن بين الأمر بالاستقامة والنهي عن مجاوزة الحد، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هود: 112]. وقد فسر المفسرون النهي عن الطغيان بمجاوزة الحدود التي أمر الله بها ([3]).

ويؤكد هذا التوازن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا» ([4])، فالحديث يجمع بين الالتزام والسداد وبين النهي عن المشادة، وبذلك يرفض المنهج الشرعي طرفي الغلو والتفريط.

---

[1] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص195 وما بعدها؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص7؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص9.

[2] – [3] الطبري، جامع البيان، ج14، ص594 وما بعدها، وج21، ص349 وما بعدها.

[3] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم (39)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج12، ص583؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص107؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص354.

ISSN : 2410-1818

سادسًا: بناء القدرة النقدية المنضبطة

لا يتحقق الأمن الفكري بحفظ المعلومات وحده، وإنما يحتاج إلى قدرة علمية تميز بين الاستدلال الصحيح والمجتزأ، وبين المفهوم الشرعي واستعماله المنحرف. ويسهم التفسير الموضوعي في بناء هذه القدرة من خلال تدريب المتلقي على أسئلة منهجية: هل جُمعت النصوص المتعلقة بالقضية؟ وهل روعيت سياقاتها؟ وهل رُد المتشابه إلى المحكم؟ وهل روعيت المقاصد والمآلات؟

وبذلك لا يكتفي المتلقي بوجود آية يستدل بها المتحدث، وإنما يفحص دلالتها وسياقها وعلاقتها ببقية النصوص. وهذه القدرة النقدية تمثل جانبًا وقائيًا مهمًا؛ لأنها تقلل قابلية الفرد للتأثر بالاستدلال الانتقائي والخطابات الانفعالية.

سابعًا: أثر الوعي القرآني في الوقاية من الخطاب المتطرف

حين يتشكل الوعي القرآني المتوازن يمتلك الفرد مرجعية منهجية يرجع إليها عند الاشتباه؛ فيرد النص الجزئي إلى مجموعه، ويزن الأحكام بالعدل والعلم والمقاصد، ويستحضر التثبت قبل الحكم على الأشخاص، ويربط الدعوة بالحكمة وحفظ النفس والجماعة. ومن ثم لا يكون رفض التطرف مجرد موقف عاطفي، وإنما نتيجة لفهم قرآني منضبط قادر على كشف مواطن الخلل في الخطاب المتطرف.

خلاصة المطلب الأول

يتبين أن أثر التفسير الموضوعي في بناء الوعي القرآني يتحقق من خلال الرؤية الكلية للنصوص، ورد المتشابه إلى المحكم، والعلم والتثبت، ومراعاة المقاصد، والتمييز بين التدين والغلو، وتنمية القدرة النقدية. وبذلك ينتقل التفسير الموضوعي من مجرد منهج في دراسة النصوص إلى أداة لبناء عقلية منهجية تسهم في الوقاية من الغلو وتعزيز الأمن الفكري.

المطلب الثاني: التطبيقات الدعوية والتربوية لمنهج التفسير الموضوعي

لا يقتصر أثر التفسير الموضوعي على البحث الأكاديمي، بل يمكن توظيفه في الدعوة والتربية من خلال تحويل الرؤية القرآنية الكلية إلى برامج ومناهج تسهم في تصحيح المفاهيم وبناء الوعي. وتزداد أهمية ذلك إذا كان جانب من الغلو مرتبطًا بخلل في الفهم والاستدلال؛ لأن الوقاية تبدأ بتعليم المتلقي كيف يفهم النصوص قبل مواجهة الانحراف بعد وقوعه.

أولًا: توظيف التفسير الموضوعي في الخطاب الدعوي

يحتاج الخطاب الدعوي في معالجة القضايا الفكرية إلى تجاوز الاستشهاد الجزئي إلى بناء تصور قرآني متكامل. فعند معالجة الغلو مثلًا لا يقتصر الخطاب على التحذير منه، بل يجمع النصوص

ISSN : 2410-1818

المؤسسة للوسطية والعدل والرحمة والنهي عن الغلو ورفع الحرج وحفظ النفس والتثبت والدعوة بالحكمة. وبذلك ينتقل الخطاب من مجرد رفض الانحراف إلى تقديم البديل القرآني الصحيح.

ويعد التفسير الموضوعي مناسبًا لهذا التطبيق؛ لأنه ينطلق من القضية، ثم يجمع النصوص المتعلقة بها ويحللها للوصول إلى رؤية كلية ([1])، كما يحقق التوازن في الخطاب؛ فلا تطغى نصوص الوعيد على الرجاء، ولا الرجاء على الوعيد، بل تعرض الهداية القرآنية في تكاملها.

ثانياً: توظيفه في المناهج التربوية

يمكن الإفادة من التفسير الموضوعي في بناء وحدات تعليمية حول قضايا مثل الوسطية، والتثبت من الأخبار، وحرمة الدماء، والعدل مع المخالف، وفقه الاختلاف، ومقاصد الشريعة. ودراسة هذه الموضوعات من خلال مجموع النصوص القرآنية تساعد المتعلم على تكوين تصور متكامل بدل تلقي معلومات متفرقة أو مواعظ موسمية.

وتظهر القيمة الوقائية لهذا التطبيق في تقديم معالجة علمية مبكرة للقضايا التي قد يتعرض فيها المتعلم لاحقًا لخطابات مجتزأة أو مضللة. فالتربية هنا لا تكتفي بتلقين الموقف الصحيح، وإنما تعلم الطالب طريقة الوصول إليه من خلال جمع النصوص وفهم السياقات والمقاصد، وهو ما يعزز قدرته على التمييز والنقد.

ثالثًا: إعداد الدعاة والمعلمين على منهج الجمع الموضوعي

من التطبيقات العملية تدريب الدعاة والمعلمين والخطباء على بناء الموضوعات الشرعية بطريقة كلية؛ فيتعلم المتدرب جمع الآيات ذات الصلة، والتمييز بين النصوص المؤسسة والمكملة، وربط الجزئيات بالمقاصد، وتجنب الانتقاء الذي يخل بالتوازن.

فمن تناول الجهاد جمع نصوصه مع ضوابط عدم الاعتداء والوفاء بالعهد وحفظ النفس، ومن تناول التعامل مع المخالف جمع نصوص المفاصلة مع العدل والبر والقسط، ومن تناول الإنكار ربط مشروعيته بالحكمة والرفق ومراعاة المآلات. وبهذا يصبح المقصود من الخطاب بناء الهداية والفهم، لا مجرد إثارة الحماسة.

وتتأكد أهمية مراعاة المآلات في هذا المجال؛ لأن صحة أصل القول لا تعني بالضرورة صحة كل صورة من صور تنزيله، بل ينبغي النظر في النتائج المتوقعة حتى لا يؤدي الخطاب الإصلاحي إلى مفسدة أكبر ([2]).

---

[1] – مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق: دار القلم، ط4، 1426هـ/2005م، ص16 وما بعدها

[2] – الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، الخبر: دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م، ج5، ص177–178.

ISSN : 2410-1818

رابعًا: توظيف التفسير الموضوعي في معالجة الشبهات

يمثل التفسير الموضوعي منهجًا مناسبًا لمعالجة الشبهات التي تقوم على فهم جزئي للنص أو عرضه مبتورًا أو تنزيله في غير موضعه؛ لأن الرد العلمي لا يقتصر على مقابلة الشبهة بنص منفرد، بل يعيد بناء التصور القرآني للقضية كاملة.

فعند إثارة شبهة حول الجهاد مثلًا تجمع النصوص المتعلقة بمقاصده وضوابطه وعدم الاعتداء وحفظ العهود وحرمة الدماء، وعند تناول علاقة المسلم بالمخالف تجمع نصوص التميز الإيماني مع نصوص البر والقسط والعدل. وبهذه الطريقة لا يعالج موضع الإشكال وحده، بل يمنح المتلقي أصولًا كلية تساعده على مواجهة الشبهات المشابهة.

خامسًا: بناء الخطاب الوقائي

من أهم التطبيقات الانتقال من معالجة الانحراف بعد وقوعه إلى بناء المناعة الفكرية قبله. ويصلح التفسير الموضوعي أساسًا لهذا الاتجاه؛ لأنه يعلم المتلقي جمع الأدلة، ورد المتشابه إلى المحكم، ومراعاة المقاصد، والحذر من القول بغير علم. ومن ثم ينبغي إدماج هذه المهارات في التعليم والدعوة والبرامج التربوية قبل ظهور الأزمات الفكرية.

سادسًا: التطبيقات الأسرية والشبابية

يمكن توظيف التفسير الموضوعي في التربية الأسرية والشبابية من خلال تقديم موضوعات قرآنية مركزة تعالج الاعتدال والتثبت وحسن التعامل مع الخلاف والتمييز بين التدين والغلو. وتزداد أهمية هذا التطبيق لدى الشباب مع تعرضهم للمحتوى المختصر والشعارات الحادة؛ إذ يمكن تصميم لقاءات تجمع الآيات المتعلقة بالقضية، وتناقش دلالاتها، وتربطها بالواقع، وتدربهم على اكتشاف الاستدلال المجتزأ.

سابعًا: أثر التطبيقات الدعوية والتربوية في الأمن الفكري

يؤدي تحويل التفسير الموضوعي من منهج بحثي إلى ممارسة تعليمية ودعوية إلى توسيع أثره في المجتمع؛ إذ يسهم في بناء مرجعية قرآنية متوازنة، وتقليل التأثر بالاستدلال الانتقائي، ورفع قدرة الدعاة والمعلمين على معالجة القضايا الفكرية، وبناء مناعة معرفية لدى الشباب. وبذلك يصبح الأمن الفكري بناءً مستمرًا يقوم على العلم والفهم، لا مجرد استجابة مؤقتة عند ظهور الانحراف.

خلاصة المطلب الثاني

يتبين أن القيمة التطبيقية للتفسير الموضوعي تظهر في توظيفه في الخطاب الدعوي والمناهج التعليمية وإعداد الدعاة والمعلمين ومعالجة الشبهات والبرامج الأسرية والشبابية. وهذه التطبيقات تنقل

ISSN : 2410-1818

معالجة الغلو من الرد الجزئي إلى بناء الوعي، ومن العلاج اللاحق إلى الوقاية السابقة، بما يعزز الأمن الفكري على مستوى الفرد والمجتمع.

المطلب الثالث: التحديات المعاصرة وآفاق تفعيل التفسير الموضوعي

يواجه تفعيل التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف تحديات فكرية وإعلامية وتعليمية تتصل بطريقة تلقي النصوص وبناء الخطاب الديني، ومن ثم فإن الإفادة من هذا المنهج لا تتحقق بمجرد تقرير أهميته، بل تحتاج إلى تفعيل علمي وتربوي يراعي طبيعة الواقع المعاصر ([1]).

أولًا: تحدي القراءة الجزئية في الفضاء الرقمي

أسهمت البيئة الرقمية في انتشار النصوص والمقولات الشرعية في صور مختصرة قد تنفصل عن سياقاتها وضوابطها، وهو ما يزيد قابلية المتلقي للتأثر بالاستدلال المجتزأ. وتزداد خطورة ذلك عندما تتحول الآيات والأحاديث إلى شعارات تستعمل في التحريض أو الإقصاء دون جمع الأدلة أو مراعاة السياق والكليات. ويواجه التفسير الموضوعي هذا التحدي بإعادة النص إلى منظومته الكلية وربطه بنظائره ومقاصده.

ثانيًا: ضعف التأهيل العلمي في التعامل مع النصوص

يحتاج تفسير القرآن إلى أدوات علمية تضبط الفهم، ومن ثم فإن ضعف التأهيل في اللغة وأصول التفسير والسياق والعام والخاص والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه والمقاصد قد يؤدي إلى أخطاء في الاستدلال. وقد نهى القرآن عن اتباع ما لا يقوم عليه علم فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء: 36]، وعن القول على الله بغير علم فقال سبحانه: ﴿**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: 33] ([2])، ولذلك فإن مجرد جمع الآيات لا يكفي لتحقيق التفسير الموضوعي، بل لا بد من جمع منضبط وتحليل علمي وربط بالسياقات والمقاصد.

ثالثًا: هيمنة الخطاب الانفعالي

قد يحقق الخطاب القائم على الإثارة والتعبئة تأثيرًا سريعًا، لكنه لا يبني أمنًا فكريًا راسخًا؛ لأن الانفعال قد يضعف الموازنة ويدفع إلى قبول الأحكام الحادة والتعميمات. ويقدم التفسير الموضوعي بديلًا منهجيًا يقوم على التأني وجمع النصوص وتحليل السياقات ومراعاة المقاصد والمآلات، بما يقلل من بناء المواقف على حالة منفردة أو نص مجتزأ.

---

[1] – بشير محمد النجاب، «التأصيل النظري لمفهوم التطرف الفكري»، مجلة الدراسات الاستراتيجية للكوارث وإدارة الفرص، المركز الديمقراطي العربي، برلين، مج4، ع14، يونيو 2022م، ص134.

[2] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج14، ص594؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص201؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص98.

ISSN : 2410-1818

رابعًا: الخلط بين معالجة الغلو وإضعاف التدين

من التحديات الخلط بين الاعتدال والتفريط؛ فمعالجة الغلو لا تعني إضعاف الالتزام، كما أن قوة التدين لا تبرر مجاوزة الحدود الشرعية. ويقرر القرآن التوازن بين الأمر بالاستقامة والنهي عن الطغيان، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هود: 112]. ومن ثم فإن المعالجة القرآنية لا تستبدل الغلو بتفريط مضاد، وإنما ترد التدين إلى ميزان الاتباع والاستقامة.

خامسًا: تحدي تعدد مصادر التلقي

أصبح المتلقي المعاصر يتلقى معارفه الدينية والفكرية من مصادر متعددة متفاوتة في الموثوقية والتأهيل، مما يزيد صعوبة التمييز بين الفهم العلمي والخطاب العاطفي أو المجهول. ويقدم التفسير الموضوعي معيارًا منهجيًا للتلقي؛ إذ يدرب المتلقي على وزن الأفكار بمجموع النصوص وقواعد الفهم ومقاصد الشريعة، وعلى الرجوع إلى أهل الاختصاص في القضايا التي تحتاج إلى تأهيل علمي. قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]. وقد بين المفسرون أن الآية تؤسس للرجوع إلى أهل العلم فيما يجهله الإنسان ([1]).

سادسًا: آفاق تفعيل التفسير الموضوعي

يمكن اختصار أبرز آفاق التفعيل في أربعة مسارات مترابطة:

1. التعليم: بإدخال وحدات تطبيقية تعالج الوسطية وفقه الاختلاف وحرمة الدماء والتثبت والغلو والأمن الفكري، مع تدريب الطلاب على جمع النصوص والتمييز بين الاستدلال المتكامل والمجتزأ.

2. الخطاب الدعوي والإعلامي والرقمي: بتقديم معالجة موضوعية مركزة للمفاهيم التي يكثر فيها الالتباس، وإنتاج محتوى يجمع بين الاختصار والجاذبية والانضباط العلمي، بدل ترك المجال للمحتوى الجزئي أو المتطرف.

3. إعداد الدعاة والمعلمين: بتدريبهم عمليًا على جمع الآيات وتصنيفها وربطها بالسياقات والمقاصد، وتحويل نتائج الدراسة الموضوعية إلى خطاب تربوي ودعوي مناسب للمتلقي.

4. البحث العلمي: بتشجيع الدراسات التطبيقية التي تستخدم التفسير الموضوعي في قضايا مثل التكفير والجهاد وفقه الاختلاف والشبهات والأمن الفكري، مع الجمع بين التأصيل الشرعي وفهم الواقع المعاصر.

[1] – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج14، ص253؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص574؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص108.

ISSN : 2410-1818

سابعًا: شروط التفعيل

يتطلب نجاح هذه المسارات خمسة شروط أساسية: الرسوخ العلمي الذي يمنع تحول التفسير الموضوعي إلى مجرد تجميع للآيات، ومراعاة المقاصد والكليات، وفهم الواقع الذي تنزل عليه الأحكام، واختيار لغة تناسب المتلقي دون إخلال بالدقة، والتكامل بين المؤسسات العلمية والتربوية والدعوية والإعلامية. وبهذه الشروط يمكن أن ينتقل التفسير الموضوعي من المجال النظري إلى مشروع علمي وتربوي يسهم في تعزيز الأمن الفكري.

خلاصة المطلب الثالث

يتبين أن أبرز التحديات أمام تفعيل التفسير الموضوعي تتمثل في القراءة الجزئية للنصوص، وضعف التأهيل العلمي، وهيمنة الخطاب الانفعالي، والخلط بين معالجة الغلو وإضعاف التدين، وتعدد مصادر التلقي. وفي المقابل تتسع مجالات تفعيله لتشمل التعليم والدعوة والإعلام والفضاء الرقمي وإعداد المتخصصين والبحث العلمي. ويؤكد ذلك أن أثر التفسير الموضوعي في الأمن الفكري يتوقف على انتقاله من التأصيل النظري إلى التطبيق المؤسسي المنضبط.

خلاصة المبحث الثالث

يتبين أن التفسير الموضوعي يسهم في تعزيز الأمن الفكري من خلال بناء وعي قرآني متوازن يقوم على جمع النصوص، ورد المتشابه إلى المحكم، ومراعاة السياقات والمقاصد، وتنمية القدرة على التمييز بين الاستدلال المنضبط والاستدلال المجتزأ. كما أن أثره لا يقتصر على المجال العلمي، بل يمتد إلى التعليم والدعوة والإعلام والفضاء الرقمي متى قام على التأهيل العلمي وحسن التطبيق.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

تناول هذا البحث دور التفسير الموضوعي في معالجة الغلو والتطرف وأثره في تعزيز الأمن الفكري، وانطلق من مشكلة تتمثل في ارتباط بعض صور الغلو بخلل في فهم النصوص أو قراءتها قراءة جزئية تفصلها عن سياقاتها وكلياتها ومقاصدها. وسعى البحث إلى بيان قدرة التفسير الموضوعي على معالجة هذا الخلل من خلال بناء الرؤية القرآنية الكلية، وتصحيح الاستدلال، وضبط المفاهيم الشرعية، وربط النصوص بمقاصدها.

أولًا: أهم النتائج

1. يقوم التفسير الموضوعي على جمع الآيات المتعلقة بالقضية ودراستها في ضوء سياقاتها وكلياتها ومقاصدها، وهو ما يجعله من المناهج المناسبة لمعالجة القضايا الفكرية المركبة.

2. يرتبط بعض صور الغلو والتطرف بخلل في منهج الفهم والاستدلال، وبخاصة القراءة الجزئية للنصوص وعزلها عن سياقاتها ومقاصدها.

3. يؤسس القرآن لمنهج الاعتدال من خلال الوسطية والنهي عن الغلو، وربط التدين بالعدل والرحمة واليسر، ومراعاة مقاصد حفظ النفس والعقل واستقرار الجماعة.

4. لا تعني الوسطية إضعاف الالتزام، بل تعني الاستقامة على الحق بعيدًا عن الإفراط والتفريط، كما أن النهي عن الغلو يهدف إلى ضبط التدين بالعلم والاتباع.

5. تمثل المقاصد القرآنية ضوابط حاكمة تمنع توظيف النصوص الجزئية على نحو يناقض الكليات الشرعية.

6. يسهم التفسير الموضوعي في تصحيح الخلل في الاستدلال من خلال جمع الأدلة، ومراعاة السياق، ورد المتشابه إلى المحكم، وربط الجزئيات بالكليات.

7. يسهم هذا المنهج في ضبط مفاهيم قد يقع فيها الغلو، مثل الجهاد، والولاء والبراء، والتكفير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحاكمية والطاعة.

8. لا يتحقق الأمن الفكري بالردود الجزئية وحدها، وإنما ببناء وعي قرآني يمتلك أدوات الفهم والتثبت والنقد المنضبط.

9. يمكن توظيف التفسير الموضوعي في التعليم والدعوة والإعلام والبرامج الشبابية لبناء الوقاية الفكرية قبل وقوع الانحراف.

10. تتطلب فاعلية التفسير الموضوعي في الواقع المعاصر رسوخًا علميًا، ومراعاة للمقاصد، وفهمًا للواقع، ولغة مناسبة للمتلقي، وتكاملًا بين المؤسسات المعنية.

ISSN : 2410-1818

ثانيًا: أهم التوصيات

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، يوصي الباحث بما يأتي:

1. تعزيز حضور التفسير الموضوعي في الدراسات القرآنية المعاصرة، وتوجيهه نحو معالجة القضايا الفكرية التي تتصل بالغلو والتطرف والأمن الفكري.

2. إدراج وحدات تعليمية قائمة على الجمع الموضوعي للآيات في المناهج الدراسية والجامعية، تتناول الوسطية، وفقه الاختلاف، والتثبت، وحرمة الدماء، وضبط المفاهيم التي يكثر توظيفها في خطاب الغلو.

3. تدريب الدعاة والخطباء والمعلمين على بناء الموضوعات الشرعية وفق الرؤية القرآنية الكلية، بما يقلل من الاستشهاد الجزئي ويعزز مراعاة السياقات والمقاصد.

4. العناية بتحرير المفاهيم الشرعية التي قد تتعرض لسوء الفهم أو سوء التوظيف، كالجهاد والتكفير والولاء والبراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان ضوابطها في ضوء مجموع النصوص.

5. تطوير الخطاب الدعوي والإعلامي والرقمي بحيث يجمع بين التأصيل العلمي واللغة المعاصرة الواضحة، ويقدم بديلًا معرفيًا قادرًا على مواجهة الشبهات والاستدلالات المجتزأة.

6. إنشاء برامج تربوية وشبابية تعزز مهارات التثبت والنظر الكلي والنقد المنضبط، بحيث يكون بناء الأمن الفكري وقائيًا قبل أن يكون علاجيًا.

7. تعزيز التعاون بين الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات التعليمية والدعوية والإعلامية لإنتاج مشروعات مشتركة توظف التفسير الموضوعي في تعزيز الأمن الفكري.

ثالثًا: المقترحات البحثية

يقترح الباحث إجراء دراسات لاحقة في الموضوعات الآتية:

1. آيات الجهاد في القرآن الكريم: دراسة موضوعية في ضوء المقاصد والضوابط الشرعية.

2. مفهوم الولاء والبراء في ضوء القرآن الكريم وأثر ضبطه في مواجهة الغلو والتطرف.

3. التفسير الموضوعي وأثره في تصحيح خطاب التكفير.

4. منهج القرآن في بناء الوعي النقدي ومواجهة الشبهات الفكرية المعاصرة.

5. أثر الفضاء الرقمي في انتشار الفهم الجزئي للنصوص الشرعية وسبل معالجته في ضوء التفسير الموضوعي.

6. التطبيقات التربوية للتفسير الموضوعي وأثرها في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب.

ISSN : 2410-1818

وفي الختام، يتبين أن الإفادة من القرآن الكريم في معالجة الغلو لا تتحقق بمجرد الاستشهاد بآيات منفردة، وإنما بفهمها ضمن بنائها الكلي، وجمع النصوص المتعلقة بالقضية، ومراعاة السياقات والمقاصد، وربط التدين بالعلم والعدل والرحمة. ومن هنا تظهر قيمة التفسير الموضوعي بوصفه منهجًا يسهم في تصحيح الفهم والاستدلال، وبناء الوعي المتوازن، وتعزيز الأمن الفكري.

والحمد لله رب العالمين...

ISSN : 2410-1818

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

القرآن الكريم.

ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن

1. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض: دار طيبة، ط2، 1420هـ/1999م.
2. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.
3. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، ط1، 1422هـ/2001م.
4. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ/1964م.
5. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ/1957م.
6. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974م.
7. الواحدي، علي بن أحمد، أسباب النزول، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام: دار الإصلاح، ط2، 1412هـ/1992م.

ثالثًا: كتب الحديث

8. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
9. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
10. ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
11. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م.
12. النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م.

رابعًا: كتب أصول الفقه والمقاصد

13. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الخبر: دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م.

ISSN : 2410-1818

14. ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، عمّان: دار النفائس، ط2، 1421هـ/2001م.
15. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الدمام: دار ابن الجوزي، ط1، 1423هـ.
16. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ/2004م.

خامسًا: كتب اللغة والمعاجم

17- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2000م.
18. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
19. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ/2005م.
20- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004م.

سادسًا: كتب التفسير الموضوعي والدراسات القرآنية المعاصرة

21. مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق: دار القلم، ط4، 1426هـ/2005م.
22. سعيد، عبد الستار فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، 1411هـ/1991م.
23. بليل، خالد فؤاد محمد، «دلالات الوسطية في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية»، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط، مج25، ع83، يوليو 2022م.
24. العزي، محمد فتحي، الوسطية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، 2017م.
25. علي، حنان عوض إبراهيم، «الوسطية في الإسلام وعلاقتها بالأمن الفكري: دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم»، **Jurnal Studi Al-Qur'an**، مج16، ع2، يوليو 2020م.
26- النجاب، بشير محمد، «التأصيل النظري لمفهوم التطرف الفكري»، مجلة الدراسات الاستراتيجية للكوارث وإدارة الفرص، المركز الديمقراطي العربي، برلين، مج4، ع14، يونيو 2022م.
27- يونس، زكريا، «الإرهاب: مقاربة للمفهوم من خلال الفقه والقانون»، مشروع نهاية الدراسة، إشراف: سعيد خضري، الكلية المتعددة التخصصات بآسفي، 2005–2006م.
28. علي، كوثر عبد الله أحمد، «الوسطية في القرآن الكريم»، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر، ع38، الإصدار الأول، يونيو 2022م.

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلس للعلوم الإنسانيـة والاجتماعيـة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X
الترقيـم الدولـي الورقـي :ISSN:2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـة مفهرسـة فـي المواقـع الآتيـة :

العام	2021	2022	2023	2024	2025
معامل أرسيف	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068	0.5978
معامل التأثير العربي	1.60	1.73	1.25	1.55	1.59